بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

علي ولي الله

من وحي الغدير

صادق الشيخ محمد علي اليعقوبي •

يـا يـومَ خُـمٍّ فـي ولايـةِ حَيـدرٍ ... طـاولْ بسَعدِكَ كـلّ عيدٍ وافخرِ
بكَ قامَ خيرُ الرسلِ أحمدُ خاطباً ... والـقـومُ محتشدونَ حَـولَ المنبرِ
نـادى بهمْ يَـومَ الغديرِ وكلّهُم ... مصغٍ إلـى قـولِ البشيرِ المنذرِ
يـوم بـهِ نِـعَـمُ الإلـهِ على الـوَرى ... تـمّـتْ وأكـمـلَ ديـنُ طـه الأطهرِ
مـنَ كـنـتُ مـولاهُ فـهـذا حيدرٌ ... مـولاهُ حيثُ الـديـن قـام بحيدرِ
وعـلـى مـحـيّـاهُ الإمـامـة نـورُهـا ... قـد شـقّ مـن نـورِ الإلـهِ الأَنـورِ
وَسنا الخلافةِ لاحَ في قسماتِه ... يمحُو سَنا قمر الـسّـمـاءِ النيّرِ
إن الـتـمـسّـكَ بـالـوصـيّ وَآلـهِ ... يُنجي الورى مِن هولِ يَومِ المحشرِ

* * * * *

يا حيدر الـكـرار يا بطل الوغى ... يـا قالعاً بـابَ الحصون بخيبرِ
فلقد قهرتَ أولي الضلالةِ والشقا ... فـي عـزمـة يـوم اللقا لـم تُقهرِ
اليوم قد حُزت الإمامةَ في الورى ... والناس من جَـذِلٍ ومن مُستبشرِ
الـيـوم قـد أُلـبـسـتَ تـاجَ كـرامـةٍ ... قد صِيغَ مِن مِسكِ الثناءِ الأذفرِ
لـولا جِـهـادُك دونَ شـرعِ محمّدٍ ... وَكـتـابـه بين الـورى لـم يُنشرِ

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام

إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ

٣

لـولا مَساعيكَ الـتي واصلتها ... حكـمُ الإلـهِ وشـرعـه لـم يُـذكـرِ
ونصرتَ دينَ المصطفى بمواقفٍ ... حـارتْ بها أفـهـامُ كـلّ مُفكّرِ
وسننتَ نَهجاً للهدايةِ واضحاً ... إنْ سـارَ فـيـهِ الـمـرءُ لـمْ يتعثرِ
قـد جـلَّ مَعناك الـذي في كنهِه ... أذهـلـتَ كـلَّ مُـفـكّـرٍ مُتبحرِ
سيظلُّ يـومـكَ وَهـو يـومٌ خالدٌ ... نـوراً يشعُّ على جبينِ الأعصرِ

* * * * *

أأبـا الـهـداةِ الطاهرينَ ومـن غدا ... يـومَ الـقـيـامـةِ سـاقـيـاً لِلكوثرِ
جـاءَ الكتابُ بمدحِهم وثنائِهم ... وَخصصتَ منهُ بالنصيبِ الأوفـرِ
شـيّـدتَ لـلإسـلامِ مَـجـداً باذخاً ... يسمُو على هامِ السّهى وَالمشتري
يـا حيدر الـكـرار عـزَّ عليكَ ما ... نلقاهُ مِـن بـاغٍ ومِـن مُستعمرِ
عـاثـتْ يـدُ المستعمرينَ بـأمّـةٍ ... تـدعـوكَ مِـن شـاكٍ وَمِـن مُتذمرِ
قدْ أصبحَتْ بيدِ الطغاةِ كَسِلْعةٍ ... هـذا يبيعُ بِـهـا وذلـكَ يشتري
فمَتى نرى النصرَ المبينَ لينجَلي ... ليلُ الضلالِ بنورِ صبحٍ مسفرِ؟!

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

أساليب العمل المضاد

المشرف العام ٨

قرآنيات

لفظة (الملائكة) في القرآن الكريم

م. هاشم جعفر الموسوي ١٠

ظواهر لغوية فنية في النص القرآني

أ. د. زهير غازي زاهد ١٣

معيار التفاضل الاجتماعي في منظور القرآن الكريم

أسعد عبد الرزاق فرج الله ٢٠

آمن الرسول

النبأ العظيم.. اختلفت فيه قريش والمفسرون

علي الفحام ٢٤

تمام الحج لقاء الإمام

السيد علاء الموسوي ٣٤

قضايا معاصرة

هكذا يرى الغربيون الإسلام!

حيدر الجد ٣٨

تحقيقات

ولدا مسلم بن عقيل عليهما السلام.. قصة الشهادة وتاريخ المرقد

جواد عبد الكاظم محسن ٤٤

الشيعة.. العلويون.. في تركيا

أسرة المجلة ٥٠

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٦٢

واحة الأدب

لمحات أسلوبية في الأحاديث عند الإمام الجواد عليه السلام

د. عبد الإله العرداوي ٦٦

ص٧٨

ص١٠٢

ص٥٠

قصيدة: تحية إلى الإمام الباقر عليه السلام
أ. د. محمد حسين الصغير ٧٤

للفضيلة نجومها

الحاج عبد المهدي آل حافظ
سلمان هادي آل طعمة ٧٨

الشيخ عبد الله السبيتي
م. م. مجيد الحدراوي ٨٦

إضاءات السيرة

الأبعاد النهضوية في حركة الإمام علي عليه السلام
مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ٩٤

في النفس والمجتمع

الأساليب الإسلامية لتقليل التفسير الخاطئ
الشيخ حسن كريم الربيعي ١٠٢

طروحات عامة

الخط العربي والعمارة الإسلامية
د. عبد الله سعدون المعموري
م. محاسن هادي خلف ١٠٨

الفكر الأنسني وتداعيات المستقبل
حسنين جابر الحلو ١٢٠

الريحان.. من النباتات الطبية
د. باقر جلاب الربيعي ١٢٢

من معالم الحج.. مِنى
الشيخ حميد البغدادي ٩٠

أجوبة مسابقة العدد (٣١) وأسماء الفائزين ١٢٨
مسابقة العدد (٣٣) ١٢٩

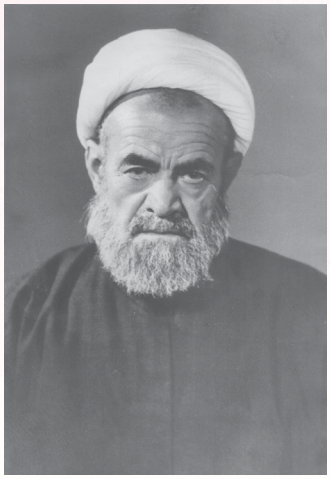

ص٨٦

ص٣٨

ص٢٤

أساليب العمل المضاد

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد فشل التفجيرات الدامية وعمليات الاغتيال والتصفيات الجسدية التي تعرض له شيعة أهل البيت عليهم السلام بين الآونة والأخرى لثنيهم عن عزيمتهم في خوض التجربة التي بدؤوا يمارسونها على الصعيدين السياسي والاجتماعي بل الثقافي أيضاً ـ وربما كان الأخير السبب الرئيس في ذلك ـ والتي كانت ـ في الواقع ـ ضمن المسلسل التخريبي الذي يتعرضون له باستمرار في واقعهم الخارجي وعبر عقود من الزمن وإن اختلفت وجوه ذلك ومتطلباته الخارجية، فمن تسلط حاكم ظالم جائر متعسف قد أحرق الأخضر واليابس إلى سيارات مفخخة وأحزمة ناسفة ونحوها من وسائل الدمار العام والقتل والتخريب وما يترتب على ذلك من مخلفات اجتماعية وسياسية من تزايد أعداد الأيتام والأرامل وما يعقب ذلك من سلبيات اجتماعية إضافة إلى تأثيرها المباشر على تعويق مرحلة التقدم في البنى التحتية التي نخرت طوال الفترة الماضية وغير ذلك من التأثيرات السلبية.

بدأ في الساحة تفعيل قضية أخرى طالما كان الأعداء يعملون على الإعداد لها ضمن سيناريوهات العمل المضاد التي توجه ضد شيعة أهل

البيت عليهم السلام والتي تساهم فيه مختلف القوى والأموال وهي زرع الشبه الدينية في صفوف أهل الحق من العامة، وترويج المفاهيم الفاسدة التي قد تخلق جواً من تلبيس الحق وتساعد على زعزعة الاستقرار العقيدي. ولكننا على ثقة تامة من أن دين الله تعالى لا يداخله تشبيه المشبهين، والحق لا يلتبس على طالبيه وقد سبق أن قال الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه بعدما استعرض الفتن التي تصاب المؤمنين إبان الغيبة الكبرى وخوف صاحبه من ذلك: «**إن أمرنا في ذلك اليوم أبين من الشمس**» لكن مع ذلك لابد من التنبيه إلى أمرين ـ يساهمان مساهمة فاعلة في رد الفتنة ـ:

الأول: ضرورة توثيق العلاقة بين عامة المؤمنين ومراكز الثقافة الدينية والتواصل مع رجال الدين والأخذ عنهم والالتفاف حول مراجع الدين لما لذلك من الأثر الفاعل في تجديد العقائد وبلورة المفاهيم بل صقلها بنحو جديد.

الثاني: ضرورة الاستمرار بإقامة الشعائر الدينية وتأكيدها والحث عليها وعدم تخصيصها في مناسبات خاصة كمحرم الحرام ونحوه. بل في كل المناسبات الدينية من المواليد والوفيات والوقائع كمناسبة الغدير الأغر الذي نصب فيه النبي صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة للمسلمين بعده مباشرة وألغى كل خلافة غيرها حتى نصب له خيمة في الصحراء من أجل سلام المسلمين عليه بالإمرة والخلافة، ولا يختلف اثنان لما للاستمرار بإقامة مثل هذه المناسبات من تقوية النفوس وتجديد الثوابت والمبادئ. نسأل الله تعالى أن يوفق المؤمنين ويسددهم في محنتهم هذه إنه ولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

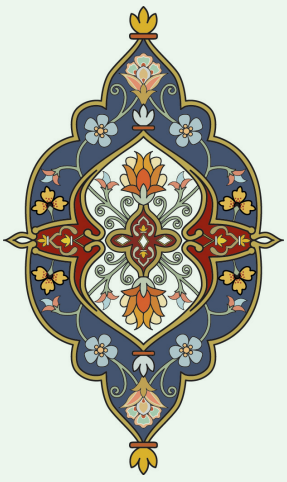

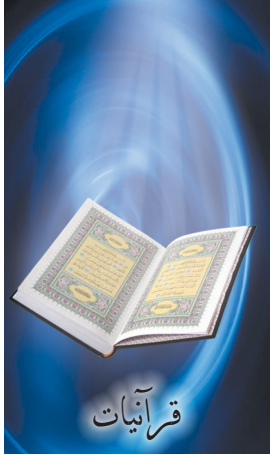

لفظة (الملائكة) في القرآن الكريم

م. هاشم جعفر الموسوي •
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع

اختلف العلماء في الأصل الذي اشتق منه (المَلَك والملائكة)، وأكثرهم أنها من (مألك ومألكة)، وهي الرسالة، لأن الملائكة رسل الله عز وجل إلى الناس[1]. قال الراغب الاصبهاني: (الملائكة ومَلَك، أصله مَألك وقيل: هو مقلوب عن مَلْأَك. والمألك والمألكة والألوك: الرسالة، ومنه: ألِكني، أي: أبْلغه رسالتي)[2].

ويفهم من هذا أن الملائكة أما من (ألك)، فاؤها همزة وعينها لام، ولامها كاف. وعلى هذا يكون وزن (ملائكة): مَعافلة، بقلب عينه إلى موضع فائه. وأما أن يكون خالياً من القلب وأصله (لاك) فيكون وزن (ملائكة: مَفاعلة). ويبدو أن الاصبهاني لم يتنبه لذلك حين قال: وقيل مقلوب عن (ملأك). إذ إن اشتقاق ملائكة من ملأك لا قلب فيه، وإنما يثبت القلب فيه إن قيل: هو من مألك. وقد ورد لفظ الملائكة في (٧٣) موضعاً من التنزيل العزيز[3].

والملائكة من المستلزمات الغيبية التي أمد الله بها المسلمين المجاهدين في سبيله، وهم يحاربون قوى الكفر والشرك.

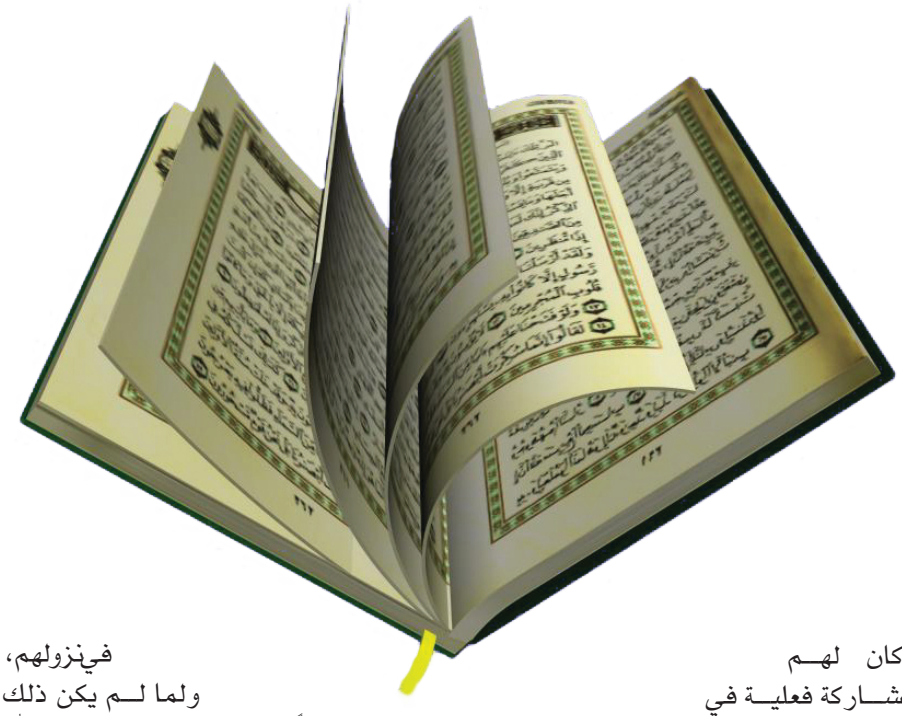

وكان لهم مشاركة فعلية في نصرة المؤمنين، وإن كانت حركتهم خفية عن الأنظار، وفعلهم واضح المعالم والآثار. قال تعالى في غزوة بدر: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) الأنفال/٩. وأصل المد في اللغة: الزيادة والاستطالة، ومنه: مددت الجيش بمدد، إذا زدته عدة وعدداً ويتضح من هذه الآية الكريمة وغيرها من آي الذكر الحكيم أن إمداد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالوسائل الغيبية، ومنها الملائكة لا يكون إلا بعد اشتداد المحنة وعدم جدوى الأسباب الطبيعية في نصرتهم، فيأتي المدد الإلهي للرسول ﷺ وللمؤمنين الصادقين.

فقد أنزل عز وجل في غزوة بدر ألفاً من الملائكة يردف بعضهم بعضاً متتابعين فينزولهم، ولما لم يكن ذلك كافياً لتحقيق النصر أمدهم الله جل وعلا بثلاثة آلاف من الملائكة، قال تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ) آل عمران/١٢٤.

وهنا أنكر عليهم سبحانه أن الإمداد بالملائكة لا يكفي لتحقيق النصر، فجيء بلفظ (لن) لتأكيد النفي والإنكار، إشعاراً بأنهم لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وقوة شوكته كالأيسين من نصر الله، فكان إنزال الملائكة رحمة بهم ونعمة تفرح قلوبهم وتثبت أقدامهم. ثم أتم الله جل وعلا نعمته على أهل بدر، فأردف المؤمنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، أي: معلمين بعلامة الحرب، قال تعالى: (بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم

بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ) آل عمران/١٢٥.

ويلحظ في الآيات الثلاث التي مضت أن الملائكة وضعوا بأنهم (مردفون في الآية الأولى) وكان عددهم ألفاً. ووصفوا بأنهم (منزلون في الثانية) وكان عددهم ثلاثة آلاف. وبأنهم (مسومون في الثالثة) وكانوا خمسة آلاف.

ويقيناً أن لكل لفظ في القرآن الكريم دلالة لا يؤديها أي لفظ آخر، ومن هنا يكون التعدد في وصف الملائكة في هذه الآيات إنما هو لغاية تعبيرية توخاها التنزل العزيز.

ولربما تتبين تلك الغاية في أن إنزال الملائكة في الآية الأولى قد حصل وهو إخبار منه سبحانه، لذا عبر عنه بصيغة المضي (فاستجاب) وبصيغة التوكيد (أني ممدكم)، إشعاراً بسرعة قبول دعوتهم واستغاثتهم، فجاء الوصف بـ(مردفين) مناسباً لهذه الحال التي عليها المسلمون المجاهدون الذين حصرت صدورهم بقوة عدوهم وكثرة عدته، فلجأوا إلى طلب الغوث من ربهم، وفي (مردفين) وصف دقيق وتصوير لطريقة نزول الملائكة وبيان حال نزولهم المنظم وهو مما يكفل تسكين قلوب المؤمنين وقذف الرعب في قلوب الكافرين.

والآية الثانية خطاب بين الرسول ﷺ وأصحابه، أخبرهم فيه أن نصر الله آت، فجاء الإمداد بهيأة المضارع الدال على الاستمرار والاستقبال موحياً بأن النزول لم يتم بعد، ومن هنا جاء وصف الملائكة الذين سينزلون بأنهم (منزلون) وهو وصف مناسب مع هذا السياق، لأن الحديث معقود على إنزال الملائكة فحسب، وليس على طريقة نزولهم.

وفي الآية الثالثة كان الإمداد بالملائكة مشروطاً بصبر المؤمنين وتقواهم وثباتهم، لذا جاء فعل الإمداد دالاً على الاستقبال. وإنما وصف الملائكة بأنهم مسومون بآلة الحرب، تشجيعاً للمؤمنين على الاقتداء بهم وتشويقاً لهم على أن يكون هؤلاء الملائكة معهم يقاتلون في صفهم إن هم صبروا واتقوا[٤]. ومن هنا يدرك استعمال اللفظ في موضعه المناسب، ودقة التعبير القرآني.

ومن الجدير بالذكر في هذه الآيات أن الله سبحانه أمد المؤمنين بألف من الملائكة ثم بثلاثة آلاف ثم بخمسة آلاف، وذلك أن جيش العدو في يوم بدر كان ألفاً فوعدهم الله بمدد ألف من الملائكة. فلما خشوا أن يلحق بالعدو مَدَد من خلفهم وعدهم عز وجل بثلاثة آلاف، أي بجيش له قلب وميمنة وميسرة، كل ركن منها بألف. ولما لم تنقشع خشيتهم في إمداد المشركين لأعدائهم وعدهم سبحانه بخمسة آلاف، وهو جيش عظيم له قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، وذلك هو الخميس، وهو أعظم ترتيباً وجعل كل ركن منه مساوياً جيش العدو كله[٥]. مناً منه سبحانه وتلطفاً ورحمة إنه سابغ النعم وهو العزيز الحكيم ■

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣٥/٢-٤٣٦، الصحاح، الجوهري (ملك).

(٢) المفردات، الراغب الاصبهاني، ٢١.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، (ملك).

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٣٩٦/٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الظاهر بن عاشق، ٧٦/٥-٧٧.

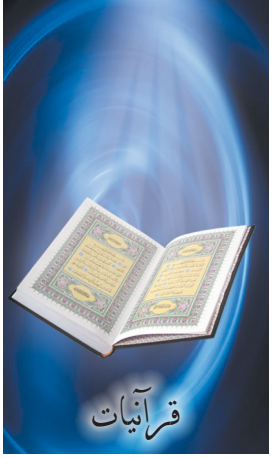

ظواهر لغوية فنية في النص القرآني

أ. د. زهير غازي زاهد ●
كلية التربية/ جامعة بغداد

ينابيع

القرآن الكريم نص خالد لاحتوائه على سر الخلود وخصائصه. فهو متعدد القراءة في الجيل الواحد ومتعدد القراءة في الأجيال والعصور المختلفة. قرأه المسلمون وغيرهم منذ خمسة عشر قرناً، وكل قراءة توحي وتستنبط منه دلالات ومعاني، لذلك كثرت فيه المقالات وتعددت فيه المصنفات والتفاسير وكلها يستند إلى نصه وينبع من أفقه، وحلق في آفاقه وعوالمه العلماء والفلاسفة والمؤلفون وما زال بكراً يستجيب لكل عصر ويجيب على كل سؤال. فاختلاف النظرات واختلاف الأقوال فيه دليل على اكتنازه المعاني المتوالدة والآفاق المتواصلة بتواصل العصور. وهذا ما شعر به وذكره الأئمة والمفكرون باختلاف الأزمان.

قال الإمام علي عليه السلام: (لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)[1].

وقال ابن مسعود: (من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن)[2].

وروى الشريف الرضي حديث السبعة والحديث عن ابن مسعود: (أنزل القرآن

على سبعة أحرف لكل آية ظهر وبطن)[٣] (الظهر) يعني الظاهر المفهوم و(البطن) يعني الباطن والمفهوم تأويلاً.

حديثنا اليوم في قيم صوتية وظواهر لغوية فنية منها ما يتصل بالانسجام الصوتي والإيقاع في القراءة، ومنها ما يتصل بدلالة الكلمة القرآنية ودقة استعمالها وهذا أفق واسع لدى الدارسين الجادين المجتهدين لا ألفافهم الطارئين على العلم الذين يحيطونه ما درت معايشهم ولا يرون أبعد من أنوفهم.

١ـ الانسجام الصوتي والمشاكلة في التعبير:

الانسجام أي التوافق وانتظام الكلام في تتابع الإيقاع، والإيقاع هو اتفاق الأصوات وانسجامها وهو ما يسمى (harmony) في اصطلاح النقاد المحدثين.

والإيقاع يتصل بالمقطع اللغوي، وقد اصطنع اللغويون جملة (لم أرَ على ظهر جبلٍ سمكة) جمعت الأسباب والعلل وهي ما يقابل المقاطع اللغوية.

إنّ تتابع الايقاع والمقاطع هو ما يفرق بين الشعر والنثر، لأن الجنسين التعبيرين فيهما إيقاع، فكل منهما يتألف من المتحرك والساكن، لكن الإيقاع في الشعر يختلف عما هو في النثر، وأقصد الشعر الموزون سواء أكان القديم أم الحديث.

إن من قرأ كتاب (الإيقاع في الشعر العربي) للعالم السيد مصطفى جمال الدين ـ رحمه الله ـ اتضح له ذلك. يقول السيد مصطفى: الإيقاع هو الفارق بين الشعر والنثر. فالشعر كالنثر من حيث إن كلاً منهما يمكن أن يوزَن إلّا أن الفرق بينهما أن الشعر نُظِمَ على أساس الإيقاع

في الموسيقى فكلما يكون الإيقاع في الموسيقى (جماعة نقرات تتخللها أزمنة محددة المقادير على نسب واوضاع مخصوصة ويكون لها أدوار متساوية)[٤] كذلك الشعر (كلام يستغرق التلفظ به مُدَداً من الزمن متساوية الكمية). أما النثر فلم يكن الإيقاع فيه متسلسلاً متساوي الأزمان كما الشعر. فالميزان الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي للشعر العربي بحسب استقرائه الأوزان وضع أيضاً ميزاناً للنثر، وهو ما يسمى بالميزان الصرفي، فهي صيغ نزن بها الكلمات بحسب المقاطع التي تتألف منها.

فالفعل (كَتَبَ) وزنه (فَعَلَ) و(كاتب) وزنه (فاعِل). فالأساس للميزان الحروف (ف ع ل) والرباعي المجرد تكرر الكلام في وزنه، بعد ذلك توزن الكلمات المزيدة بالحاق الزيادات بأصول الصيغة، لذلك نستطيع أن نزن الجملة:

كتَب زَيد رسالة = فَعَلَ فَعْلٌ فعالةً

ونزن قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم = فَعْلن فَعْلن فَعْلن فعلانْ، فالانسجام إذن - توافق المقاطع اللغوية في العبارة بحيث تؤلف إيقاعاً متتالياً متساوي الأزمان أو متشاكلاً متوازن الأزمان.

وأما التشاكل فهو التماثل أو التناسب، وتكثر هذه الصفة في فواصل الآيات أو في صيغ صرفية كما سيأتي.

هذه الظاهرة الفنية هي التي دعت فصحاء العرب قبل الاسلام يصفون القران بالشعر والنبي بالشاعر، فعندما كان الفصيح يتأمّله ينذهل، لأنه لم يألف ولم يسمع مثل هذا الكلام فيحكم عليه بأنه شعر مرة واخرى انه سجع الكهان، لسماعه هذين اللونين في التعبير، وعندما يختلط الامر في ذهنه يقول: إنه سحر. والقران الكريم نفى ذلك كله بقوله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) (الحاقة/ ٤١، ٤٢) وقوله (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) (يس/٦٩). فمما كان ياتي منسجم الايقاع قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر/١). وقوله: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) (المؤمنون/٣٦).

وقوله: (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ) (السبأ/١٣).

وقوله: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) (الإسراء/١٠٦).

وقوله: (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً) (الإنسان/١٤).

وقد ضمنها ابو نؤاس في شعره:

وفتية في مجلس وجوههم
ريحانهم قد عدموا الثقيلا
(دانـيةً عليـهم ظـلالها
وذُلّـلتْ قطـوفها تذليلا)

وفي القران الكريـم الكثير من هذه التعبيرات[٥] ولذلك قرر العلماء (انّ البيت الواحد وما يكون على وزنه لايكون شعرا وأقلّ الشعر بيتان فصاعدا)[٦].

أما التشـاكل فهو ما يكـون من تأثر الأصـوات وتأثيرهـا ايضا كمـا هو في ظاهرة الادغام للمتماثلين أو المتقاربين، وكمـا في قلـب بعض الحـروف إلى ما يشـاكلها أو يقاربهـا فـي المخـرج أو الصفة أو كليهما وذلـك في صيغة افتعل من الافعال المبـدوءة بالزاي أو الدال أو الذال مثل ازدهر ودّعـى وكذا المبدوءة بالصاد أو الضـاء أو الطاء مثل اصطبر، اظطلم، اضطهد.

يمكـن أن يكـون هـذا انسـجاما وتشـاكلا. والتشـاكل قد يكون في هيأة الكلمـة أو الكلام واتزانه، وقد يكون في المعنى وهو ما سـمي بالترادف، ولهذا مجال آخر. فمن المتشـاكل مع انسجام الاصوات فواصل الآيات، وهي ما اتفقت كلماتها في تماثل حروف المقاطع فمنها المـوازي كما هي فواصل سـورة القدر (القدر، القدر، شهر، أمر، الفجر)

وكقوله تعالى:(فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) (الواقعة/٢٨-٣٠).

وقولـه: (وَالْمُرْسَـلَاتِ عُرْفـاً فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً) (المرسلات/١،٢).

وقولـه: (خُـذُوهُ فَغُلُّـوهُ ثُـمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) (الحاقة/٣٠-٣٢).

هنا تسـاوت بنيات الآيـات وقرائن الفواصل وذلك أقرب ما ألفه العربي في مسـاواة أشطر الشـعر ما أوهَمَ خيالهم أنه شعر عند سـماعه. وهذا ما يحسب مـن المنسـجم المتشـاكل (فالفواصـل حروف متشـاكلة في المقاطع) كما ذكر أبو الحسـن الرماني[٧] والنوع الثاني من الفواصـل (المتـوازن) وهو مـا تقابلت مقاطعه أو حروفـه وتوازنت ولم تتماثل. فهي تشاكُلُ وتَقاربٌ في الوزن. كقوله (وَنَمَـارِقُ مَصْفُوفَـةٌ وَزَرَابِـيُّ مَبْثُوثَـةٌ) (الغاشية/١٥-١٦).

ومثل قوله: (الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ).

ومثل (ق وَالْقُـرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنـذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَـالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَـيْءٌ عَجِيـبٌ أَئِذَا مِتْنَـا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) (ق/١-٣).

نجد هـذه الفواصـل متوازنـة فهي متشـاكلة فـي الـوزن لا فـي حروفهـا (مصفوفـة، مبثوثـة) (الرحمن الرحيم) (المجيد عجيب بعيد).

لقد اتصفت الكلمة القرآنية بانسجام أصواتها وتناسب تأليفها فللمحافظة على هذا الانسجام والتناسب في تأليفها يُزادُ فيهـا أحياناً بعض الحروف المناسـبة أو تغيّر صيغتها بما يلائم موضع استعمالها كزيادة الهاء مثلاً على فواصل من سورة الحاقة فبما أن فواصل سايقه (بالطاغية، عاتيـة، خاويـة) زيدت فـي فاصلة الآية ١٩و٢٠ هاء لتنسـجم مـع الفواصل قبلها (فَأَمَّـا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ) ثم الآيات ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩.

زيدت هذه الهاء التي يسميها النحويون هاء السكت أي الوقف، لتوازي الفواصل

قريناتها في السورة.

وأحياناً تغير صيغة الفاصلة لتنسجم مع ما قبلها وما بعدها كما في الآية الكريمة: (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً) (النبأ/٢٨) لتوافق ما قبلها (حساباً وما بعدها كتاب، عذابا) فمصدر (كذّب) تكذيب. لكنه استعمل هنا صيغة فِعّال لتتوافق الفواصل، وهذا ما جعله الفراء مما تحتمله القوافي من الزيادة والنقصان أيضاً[٨].

٢- في دلالة الكلمة: الترادف والاشتراك والتضاد:

لقد اختصر أحمد بن فارس ٣٩٥هـ الموضوع فيما يأتي من القول وهو رأينا الذي نذهب اليه في هذه القضية اللغوية إلا شيئاً نضيفه إلى كلامه وهو اختلاف اللهجات كما سيأتي.

قال ابن فارس في (باب الأسماء كيف تقع على المسمّيات): (يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو (عين الماء) و(عين المال) و(عين السحاب). ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام.

والذي نقوله في هذا إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى..)[٩].

فاللغويون في قضية الترادف اللغوي على خلاف، فمنهم من ذهب إلى وجوده في اللغة والقرآن الكريم، ومنهم من أنكر ذلك وحاول أن يوجد الفروق بين الألفاظ المترادفة على اعتبار ما من لفظ يمكن أن يقوم غيره مكانه في القرآن الكريم، وذلك من خصائص إعجازه.

ومن طريف ما روي عن أبي علي الفارسي أنه قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وفيه جماعة من أهل اللغة فيهم ابن خالويه. فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلّا إسماً واحداً، وهو السيف. قال ابن خالويه فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة[١٠].

إن قضية المترادف والمشترك في اللغة ينبغي لها أن تدرس من خلال الاستعمال من جهة ثم من خلال التطور التاريخي لدلالة الألفاظ من جهة أخرى ثم من خلال اختلاف البيئات اللغوية في وضع المفردات ودلالتها من جهة ثالثة كما ذهب إلى ذلك الأصوليون[١١]. فلفظة سكين ومُدْية بمعنى واحد ولكن لم يكونا من بيئة لغوية واحدة، فالأولى حجازية جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ

اخْــرُجْ عَلَيْهِــنَّ...) (يوســف/٣١)، وكلمة (مدية) من بيئة لغوية أخرى لم يستعملها القــرآن الكريم وإنما وردت في الكلام، وفــي الحديث الذي ذكر في (اللســان): (قلت يا رســول الله إنا لاقوا العدو غداً وليس معنا مُدىً) والمدية هي السكين أو الشفرة[١٢].

وكذلــك كلمــة (الوثب) بلغــة حمير بمعنى القعود. يقال: ثِــبْ أي آقعدْ. جاء في اللسان (وثب): ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك: ثِبْ أي آقعدْ، فوثب من الجبل فتكســر، فقال الملك بعد إن قيل له أن في لغته ثبْ بمعنى اقفز فقال: ليس عندنا عربية، من دخل ظفار حَمّر. أي تكلم بالحميرية.

لقد بالــغ اللغويون في هذه الظواهر اللغوية المشترك والمترادف، والمتأمل يجد أن معظم ما عدّ من المترادف يجده متقارب المعنى في دائرته اللغوية وليس متطابقــاً، والاســتعمال القرآنــي يبين ذلك.

إن المتأمــل فــي اســتعمال الكلمة القرآنية يخرج بتصورٍ يتصل بخصوصية اســتعمالها، واللغويون كمــا قلت على خلاف في هــذه الظواهــر اللغوية[١٣]، وهناك من يرى أن فيها مبالغة خصوصاً في القــران الكريــم، ويرى أن نســبة التــرادف ليســت كمــا ذكــروا من ان للهدى ســبعة عشر معنى: البيان والدين والايمان والداعي والرســل والكتب[١٤] ومع ذلك فالترادف أوسع من المشترك في اللغــة واكثر ما ذكــروه على انه من المشــترك هو اقرب الى المجاز، فمما ذكــر من المشــترك في كتــب اللغة لم يســتعمل في القران الكريــم الا بمعنى واحد مثل كلمة (الخــال) لم يرد لها الا معنــى قرانــي واحد، وهي مــن ألفاظ القرابــة وقد اســتعملت خمس مرات. وكذلك (إنسان) المســتعملة في القران خمسا وســتين مرة. اســتعملت لمعنى واحــد. وكلمة (الأرض) التــي تذكر لها كتب المشــترك اللفظي معانــي كثيرة وردت في القران خمسمائة مرة بمعناها القراني المألوف .

ومن خلال اطلاعي على ما وري من المشــترك اللفظي نفهم أنه يعني وجود كلمــات يؤدي كل منها أكثر من معنى في الاســتعمال. مــن ذلك ما ذكــر في كلام الله مثل لفظة (قضى) بمعنى حتَم كقوله تعالى: (قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) (الزمر/٤٢).

وقضى بمعنى أمر كقوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ) (الإسراء/٢٣).

وقضــى بمعنــى علــم كقولــه تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْــرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ) (الإسراء/٤).

وقضى بمعنى صنع كقوله (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ) (طه/٧٢).

وقولــه (وَاللَّيْــلِ إِذَا عَسْــعَسَ) (التكوير/١٧) أي أقبل أو أدبر.

وذكر الســيوطي أمثلة من المشترك منقولــة مــن كتــب عــدة (المزهــر١/ ٣٧٢،٣٧٣).

وقد أنكر ابن درستويه معظم الألفاظ التي عدت من المشرك اللفظي واعتبرها من المجاز.

فكلمة الهلال مثلا تعني هلال السماء ويعبــر بها عن الظفر وحديدة النعل التي تشبه الهلال.

فالمشــترك اللفظــي الحقيقــي إنما يكون حين لا نلمح أية صلة بين المعنيين

مثل كلمة (الخال) التي هي أخو الام وهي الشامة في الوجه ومثل هذه الألفاظ التي اختلف فيها المعنى قليلة جدا بل نادرة. وكذا ما وقع منها في القرآن الكريم يعد من قبيل المجاز في الاستعمال كالعين الباصرة وعين الماء وغيرها وغيرها ما سبق ذكره كالإنسان والأرض.

وكذا هو رأي السيد محمد تقي الحكيم في بحثه (الاشتراك والترادف) وقد أخذ على معجمات اللغة أنها توسعت في دعوى الترادف والاشتراك اللفظي مع أن واقع الكثير من المواد التي نجدها عندهم لا تمت إليها بصلة[١٥].

ويتكون المشترك من ثلاث طرق:

أ ـ أن تكتسب الكلمة على مدى زماني معاني أخرى بعد أن يرسخ معناها الأصلي.

ب ـ اكتسابها المعنى أو المعاني عن طريق المجاز.

ج ـ اختلاف البيئات اللغوية وجمع اللغويين المفردات منها ■

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٨٨/١.

(٢) البرهان للزركشي، ١٧١/٢.

(٣) المجازات النبوية للرضي، ص ٥١، البرهان ١٧٠/٢.

(٤) الإيقاع في الشعر العربي، ص١٤، ١٥، وانظر: الموسيقى للفارابي، ص١٠٨٥، بحوث في لغة الشعر وعروضه، ص٨٦.

(٥) انظر: التفصيل في إعجاز القران للباقلاني، ص٥١-٥٦.

(٦) السابق: ص٥٤، ٥٣.

(٧) النكت في إعجاز القران، (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران) ص٩٧.

(٨) معاني القرآن، ١١٨/٣، ٢٦٨.

(٩) انظر: معاني القرآن، ١١٨/٣، ٢٦٨.

(١٠) المزهر للسيوطي، ٤٠٥/١

(١١) المصدر السابق.

(١٢) اللسان (مدى).

(١٣) انظر: تفصيل ذلك في كتاب المزهر ٤٣٠،٣٦٩/١، ودلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، ص٢١٠، ٢٢٤، مبحث المشترك والترادف للسيد محمد تقي الحكيم، ص٨٩ في ضمن كتاب (من تجارب الأصوليين).

(١٤) انظر تفصيل ذلك في البرهان للزركشي ١٣٤\١، ١٣٥، الاتقان للسيوطي ١\٣٠٠-٣٠١.

(١٥) المزهر١/٣٧٢، ٣٧٣.

يا صفراء غرّي غيري

عن علي بن أبي ربيعة أن علي بن أبي طالب عليه السلام جاءه ابن التياح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء. قال: الله أكبر، فقام متوكئاً على ابن التياح حتى قام على بيت المال فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال المسلمين وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غرّي غيري، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم. ثم أمر بنضحه فصلى فيه ركعتين.

ذخائر العقبى ص١٠١

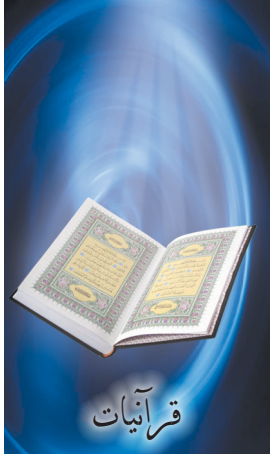

معيار التفاضل الاجتماعي في منظور القرآن الكريم

أسعد عبد الرزاق فرج الله •

ينابيع

عندما نستعرض تأريخ البشرية نجده حافلا بالمشاكل الاجتماعية التي تتنوع وفقا للمراحل والظروف التاريخية، ومن تلك المشاكل كانت مشكلة في غاية الأهمية ألا وهي معيار التفضيل الاجتماعي وما يترتب عليه من أثر سلبي في حياة المجتمعات، فقد تمثل هذا الأثر بعد أشكال وصور مأساوية عانت منها المجتمعات بسبب غياب النظم المتكاملة عن ساحة التطبيق، وبمجرد اختلاف أي معيار يحدد طبيعة أية علاقة في المجتمع يؤدي إلى خلق مشكلة اجتماعية.

ونحن بصدد تحديد المعيار الذي يلائم الطبيعة الإنسانية في تفاضل أفراد المجتمع، من خلال الوقوف على مشروعية التفاضل الاجتماعي، والأسس التي يرتكز عليها، مرورا بالأساس الواقعي للعلاقة الاجتماعية الذي تقوم عليه جميع العلاقات بحيث يكون أساسا متينا لا ينخره قطار الزمن أو يبعده ظرف المكان.

ولابد أن ننطلق من القرآن الكريم لكونه المصدر الأول لصياغة النظام الاجتماعي من خلال ما يعرضه لنا من

خطوط تمثل الأساس في بناء الهيكل الاجتماعي.

الأساس الواقعي للعلاقات الاجتماعية

كل علاقة اجتماعية لابد أن تقوم على أساس، أي ما يمثل البنية التي تتكون منها العلاقات الاجتماعية، و تختلف أسس العلاقات الاجتماعية بحسب طبيعة النظام الذي يحكم تلك العلاقات، إذ هناك عدة أسس يمكن اعتبارها في صياغة الأساس الذي تبنى عليه العلاقة الاجتماعية، فهناك الأساس القبلي الذي يقوم على انتماء الفرد إلى قبيلة معينة، وفي هذا الأساس كثيرا ما يرفض الآخر بمجرد عدم انتماءه، وبالتالي يفرز لونا من العنصرية القبلية، وهناك الأساس القومي وهو أيضا منشأ للحواجز التي تقف أمام بناء العلاقة الاجتماعية، وكثيرة تلك الأسس التي تعاني مشكلة الانغلاق حول دائرة اجتماعية ضيقة، مثل الأساس العرقي والوطني..

والإنسان - بما هو إنسان ذو نزعة فطرية - يطمح نحو أساس أكثر شمولية ليكون حاكما على العلاقة الاجتماعية، ووحدة النوع الإنساني تمثل أساسا شاملا للعلاقات الاجتماعية، فتكون العلاقة بين أفراد المجتمع قائمة على أساس إنسانية كل فرد وما تحمله من قيمة تفرض احترام الآخرين للفرد.

والقرآن الكريم يجسد هذا الأساس في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) الإسراء/٧٠.

وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) الأنعام/٩٨.

فبعد أن يقرر مبدأ تكريم الإنسان في الآية الأولى، ووحدة أصل الإنسان في الآية الثانية، يكون من الواضح أن إنسانية الإنسان تمثل رابطا أساسيا للعلاقات الاجتماعية.

وهناك أساس آخر يمثل دائرة أضيق من أساس (الإنسانية)، وهو الأساس الإيماني المستفاد من قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الحجرات/ ١٠.

أي أن العلاقة الاجتماعية يمكن أن تكون مبنية على أساس الإيمان بالله تعالى، باعتبار أن الآية حصرت الأخوة بالإيمان.

ومن خلال تحليل لغوي آخر للآية يمكن أن يستفاد منها حصر الرابطة التي تربط المؤمنين بالأخوة، فيكون المستفاد من خطاب الآية هو:(إنما الرابطة التي تربطكم أيها المؤمنون هي الأخوة لا غير)، وبالتالي يمكن أن تبتني رابطة الأخوة على أساس إنسانية الفرد أيضا..

وعلى كل حال ومع وجود أساس إيماني للعلاقة الاجتماعية فإنه لا يلغي الأساس الإنساني بل يقره ويأمر به.

مشروعية التفاضل الاجتماعي

تنبثق مشروعية التفاضل الاجتماعية من قيمة العدل، والعقل الإنساني دائما يبحث عن صياغة عادلة لكل قيمة اجتماعية، إلا أن الخلط قد يقع في مفاهيم لا يتم الفرز بينها منطقيا، ولا تتم أيضا معرفة العلاقة التي تحكم تلك المفاهيم بالرغم من تداولها بشكل واسع، فعندما يطرق مفهوم العدل والمساواة فإن البعض يكاد يمازج بينهما، وربما لا يعرف العلاقة بينهما إذا ما فرق بينهما.

وهذا الخلط أدى إلى زعزعة المفهوم الناصع للتفاضل، فهناك من ينادي بالعدل والمساواة دون أن يجعل فاصلة بين آثار كل منهما، وتارة نسمع دعوة إلى المساواة بعيدة عن حاكمية العدل على المساواة، إذ إن المساواة نفسها لابد أن تخضع لمبدأ العدل، وإلا ناقضته، وعلى هذا فإن المساواة ليست مبدأ مستقل بحيث يتجرد عن القيم التي تحكمه.

لذلك نجد القرآن الكريم قد أقر ذلك التفاوت الطبيعي بين أبناء البشر الذي يؤدي وبشكل تلقائي إلى التفاضل، لأن التفاضل قائم على تفاوت في صفة ما، وهذا المعنى لا يؤدي إلى خدش في كرامة الإنسان مادام التفاضل لا يقوم على أساس تفاوت في درجة الإنسانية.

ويتضح إقرار القرآن الكريم للتفاوت والتفاضل بين أبناء البشر من خلال قوله تعالى:(..وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) الزخرف/ ٣٢.

أما تعبير (سخريا) في الآية فإنه لا يشير إلى معنى السخرية، بل يفيد معنى السخرة، وهي ظاهرة إنسانية تنبع عن حاجة بشرية، لذلك كان تفضيل البعض على البعض الآخر يسير في خط تلك الحاجة.

المعيار الأمثل للتفاضل

ولنا أن نسأل أنه من بين تلك المعايير المتعددة التي يفرضها التفاوت الطبيعي بين البشر.. ما هو المعيار الحق

والأمثل؟

ومعروف أن التقوى هي معيار التفاضل الحق والأمثل بين المجتمع، من خلال قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات/ ١٣.

ونلاحظ أن قوله تعالى كان: (أكرمكم عند الله) ولم يكن (أكرمكم عندكم)، فيمكن ـ والله العالم ـ أن تكون التقوى معيار غير محرز من قبل أفراد المجتمع، إذ ليس باستطاعة أي فرد أن يعرف فلان تقي أم لا بحسب الواقع، وإذا كان المطلوب هو الظاهر فإن المعيار سوف ينهار أمام الكثير من المزيفين، وربما يكون التعبير (عند الله) يعني أن الله يفاضلكم حسب معيار التقوى، لأنه وحده عالم به، إلا أنه لا يمكن التخلي عن تقييم الفرد من خلال سلوكه العبادي، ومع وجود معيار آخر غير التقوى فلا يمكن أن نعتمده من دون اعتبار التقوى عند الفرد، ويطرح القرآن الكريم المعيار الآخر وهو العلم، من خلال قوله تعالى: (..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة/ ١١.

وقوله تعالى: (..قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر/ ٩.

وهناك أحاديث كثيرة رويت عن المعصومين عليهم السلام تشيد بفضل العلم حتى فضلت العالم على العابد، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب، وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب). شرح ميزان الحكمة/ الريشهري ج٧ ص٦١.

ونحن لسنا بصدد تقديم أحد المعيارين على الآخر، لأنه موكول إلى الله تعالى، لكن علينا أن نستفيد من المعيار الذي ينسجم مع الواقع الذي تعيشه الإنسانية، التي تعيش علاقاتها الاجتماعية في ضوء ما يمليه ظاهر الإنسان، وبما أن صفة العلم أظهر من صفة التقوى كان لابد من اعتبارها معيارا آخرا مع التقوى معتدا به من بين الكثير من المعايير المقننة إلهيا أو بشريا.

ومن ناحية أخرى لنا أن نسأل عن كيفية إحراز صفة العلم عند الفرد، فهل تقتصر على وجوده بين صفوف طلبة العلم مثلا؟ أم بمقدار ما يحمله من وعي وثقافة إسلامية رصينة تصقل شخصيته بين المجتمع على أساس القيم الإسلامية الصحيحة..

وهكذا نعرف أن القرآن الكريم يضعنا أمام خطوط عامة تمثل صياغة اجتماعية لأسس التفاضل الاجتماعي بين الأفراد من خلال فلسفته لأسس العلاقات الاجتماعية ■

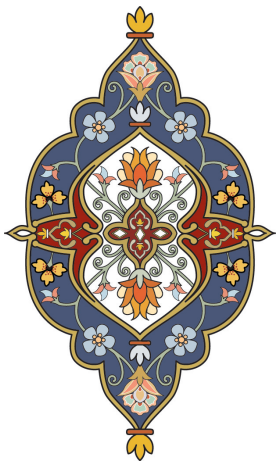

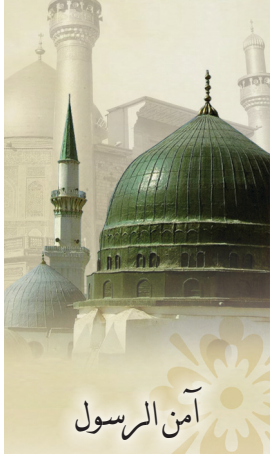

النبأ العظيم

اختلفت فيه قريش واختلف فيه المفسرون

علي الفحام •

مقدمة لا بد منها

لا شك أن ثنائية الثقلين من القرآن والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام هي إرث الرسالة الذي خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته من بعده، تركها رسول الله لكي تكوّن (منظومة ممانعة) تجاه كل بدعة وضلالة يمكن أن تتسرب إلى مفاصل الجسد الإسلامي الفتي تحصيناً له على الصعيدين الفكري والعملي، وقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن تمسك بالثقلين أن يكون بمنجى عن مضلات الفتن وحوازب الدهور التي جرت سنة الله تعالى أن تفتن الناس فتميز الصادق عن الكاذب، والخبيث عن الطيب، وراسخ القدم وثابت العقيدة عن المتذبذب المرتاب.

ومن الطبيعي جداً أن تشغَل هذه الثنائية حيزاً واسعاً من تدابير الخطة الانقلابية التي قادها أئمة الضلال ومن جاء بعدهم من وعاظ السلاطين وفقهاء السوء، فقد حاول الجهاز الانقلابي فك عرى الارتباط العضوي بين مفردتي (الثقلين) حتى يفرغ منظومة الحماية من قدرتها الكاملة في التحصين ورفع مستوى الممانعة الذي

لا يمكن أن يكتمل إلا عندما تعمل (ثنائية الثقلين) كوحدة واحدة متكاملة الأهلية، متناسقة العمل.

لقد توسل التيار الانقلابي لتحييد منظومة الممانعة النبوية بمجموعة من التدابير كان من أهمها:

أولاً: منع عملية التوثيق النصي الرسمي من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوثيقة الحماية عندما قال لهم: (ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر! استفهموه!) البخاري ٤\٦٦، وتكفل بهذه المهمة الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) لأنه كان أكثرهم جرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: تبنى (أئمة الجور) ومن جاء بعدهم مهمة إزاحة أهل البيت عليهم السلام عن قيادة المجتمع الإسلامي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعزلهم عن الجيل الناشئ في صدر الإسلام الذي فتح عينيه على تقديس (سنة الشيخين) وتقديمها حتى على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أصدرت السلطات الحاكمة قرارات قاسية بمنع تدوينها وروايتها بحجة عدم اختلاطها بالقرآن الكريم! ولهذا صاح المسلمون (واسنة عمراه) عندما أصدر أمير المؤمنين عليه السلام قراراً حكومياً بمنع (صلاة التراويح) جماعة في شهر رمضان سنة ٣٦ هجرية!! شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ١٢\٢٨٣.

ثالثاً: سعت السلطات الحاكمة إلى تقريب (طبقة من علماء السوء) ممن شروا دينهم بثمن بخس مقابل عرض زائل وحياة فانية ونعيم لا يدوم، وحظيت هذه الطبقة العلمائية بامتيازات مكنتها من أداء مهمة صعبة استطاعت من خلالها (اختراق) منظومة الحماية (القرآنية)

لتسيير بوصلتها الضابطة باتجاه مصلحة السلطة وبعيداً عن الهدف الذي وضعت من أجله.

و في ظل هذه الفوضى والفراغ الفكري نشأت ما تسمى (المدارس التفسيرية) على أكناف مجموعة من الصحابة والتابعين ممن وردوا غير موردهم ونهلوا من الملح الأجاج إما بسبب الفضول العلمي وحب الظهور وتقمص المراتب العلمية أو بغرض التزلف للحاكم ونيل حظوته والتقوي بسيفه المسلط على رقاب المسلمين.

وهكذا خضع القرآن الكريم لأكبر (عملية تحريف) على مستوى (الفكر والمضمون) وهو ما نسميه (تحريف التأويل) أو التحريف في المنهج التفسيري، وقد وقف الأئمة عليهم السلام موقفاً متشدداً من هذه المدارس لما شكلته من خطر قد يوازي مسألة إقصاء أهل البيت عن الخلافة فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي ٨\٣١١ (عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة ـ وهو من كبار مفسري تلك الحقبة ـ على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة ؟ قال: هكذا يزعمون فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم... فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت... ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به).

النبأ العظيم.. ضحية المناهج التفسيرية

كان لابد من هذه المقدمة للولوج إلى موضوعة (النبأ العظيم) وطريقة تعاطي المناهج التفسيرية معها كمفردة قرآنية تحتاج إلى فك رموزها، وهل كانت المناهج التفسيرية موفقة في طرح رؤيتها لهذا الاصطلاح القرآني؟! وهل يحق لها أصلاً أن تطرح رؤيتها بعيداً عن رؤية أهل البيت (الثقل المكمل لمنظومة الثقلين)؟!

تكرر النبأ العظيم كتركيب لغوي في آيتين من القرآن الكريم:

الأولى: في سورة ص \ ٦٧ – ٦٨: (قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون).

وللمفسرين فيه قولان: أولهما: القرآن قاله ابن عباس (ت٦٨)، ومجاهد (ت١٠١)، والجمهور. والثاني: أنه البعث بعد الموت، قاله قتادة (ت١١٢). (زاد المسير لان الجوزي ٦\٣٤٨).

الثانية: في سورة النبأ \ ١ - ٣: (عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون).

وانقسم فيه المفسرون أقوالاً سنذكرها تفصيلاً إن شاء الله.

وفي اللغة قيل: النبأ هو (الخبر الذي له شأن عظيم) الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري ٥٢٩، وقد اعتمدت المنظومة التفسيرية المخالفة لأهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه المفردة القرآنية على ملائمة السياق القرآني أو قل ما يفهمه المفسر من السياق القرآني، فإذا كان السياق يتحدث عن (يوم البعث) قالوا: هو يوم البعث! وإذا فهموا من شيء آخر قالوا: شيء آخر ! كما فسروا (أهل البيت) بأزواج النبي لملائمة السياق ! ولا ندري من الذي شرع لهم أن يأخذوا تفسير القرآن من السياق فقط ؟! أنزل به الوحي أم قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم هي بدعة ابتدعوها، وطريقة

استحدثوها لمواجهة منظومة القرآن والعترة الطاهرة؟

وفي كل الأحوال لم يسعفهم السياق ليتفقوا على تفسير واحد وسينصب بحثنا على سورة النبأ المباركة لنعرض لتفسير مقارن لمدرسة الخلفاء مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعموماً انقسمت آراؤهم في تفسير النبأ العظيم إلى أقوال عدة (انظر: تفسير السمعاني ٦\١٣٥):

الأول: قال بعضهم: أريد به القرآن: قاله ابن عباس، مجاهد.

الثاني: قال آخرون: عني به البعث: قاله قتادة، الربيع بن أنس (ت١٣٩)، أبو العالية البراء (ت١٩٠)، كما رجحه أبو الليث السمرقندي (ت٣٨٣)، والواحدي (ت٤٦٨).

الثالث: النبوة: قاله الحسن البصري (١١٠)، والزجاج (ت٣١١).

الترقيع في أسباب النزول

لم يذكر مفسرو العامة في طيات الحديث عن هذه السورة وتفسيرها أي رواية منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استشهاداً لتقوية هذا القول أو ذاك مما يكشف أنهم أعملوا رأيهم الشخصي في استنطاق القرآن وتفسيره وابتعدوا بذلك عن الطريق الصحيح الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأخذ بثنائية (القرآن والعترة) وهي الثنائية الضامنة بعدم الوقوع في الزلل والضلال وقد اقتضت الخطة الانقلابية لحكام الجور فصل هذين التركيبين عن بعضهما ليتيح لفقهاء السوء مساحة أوسع من الحركة باتجاه خدمة السلطان ورغباته.

وقد رووا في أسباب نزول هذه السورة المباركة بعض الروايات الركيكة والعامة والمرسلة غير المسندة التي يوحي ظاهرها بوضعها وعدم لياقتها، فمما رووه قول الحسن البصري: (لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت: عم يتساءلون عن النبأ العظيم)!! تفسير الرازي ١٠\٣٣٩٤، فمن هم الذين جعلوا يتساءلون؟ وهل كانت الدعوة علنية أول ما بعث النبي؟ ومن أين سمع الحسن البصري هذا الكلام ؟!

وفي تفسير القرطبي ١٩\١٧٠ (وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت (عم يتساءلون)؟) وهو أيضاً معارض بما مر قبله من أن الدعوة في أول أمرها لم تكن علنية حتى تجلس وتتحدث قريش بأمر القرآن، أضف إليه تعارضها برواية الحسن البصري ومع التعارض تسقط الروايتان معاً ولا أسف عليهما!

مفسرو الشيعة.. وقفة مراجعة

وإذا كان ثمة عتبٌ على مفسري أهل السنة والجماعة فالعتب على مفسري الشيعة أكبر فهم إتباع الثقلين وتلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام العريقة بتراثها الأصيل ومعينها الصافي ومنبعها العذب.

المتتبع لما طرحه المفسرون الشيعة المعاصرون يجد فيه (نسخة تقليدية معدلة) عن الطراز السني في التعاطي مع قضية (النبأ العظيم) وذلك لأسباب ما زالت مجهولة بالنسبة لنا.

وحتى يكون كلامنا موضوعياً نعرض لأقوال ثلاثة من كبار مفسري الشيعة المعاصرين ونناقشها وفق المنهجية التي

قدمنا لها في مقدمة الموضوع.

أولاً: السيد الطباطبائي (ت١٤١٢) في (الميزان).

يقول السيد الطباطبائي في تفسيره الكبير الميزان ٢٠\١٥٩: (والمراد بالنبأ العظيم نبأ البعث والقيامة الذي يهتم به القرآن العظيم في سوره المكية ولا سيما في العتائق النازلة في أوائل البعثة كل الاهتمام. ويؤيد ذلك سياق آيات السورة بما فيه من الاقتصار على ذكر صفه يوم الفصل وما تقدم عليها من الحجة على أنه حق واقع).

وهنا اعتمد السيد الطباطبائي﵀ بشكل فاعل على (منهجية السياق) فكل ما ساق إليه السياق لا بد أن يكون هو التفسير الحق وسبق أن قلنا في مناقشة أقوال مفسري السنة أن لا دليل يقطع بقدسية وأولولية السياق في العمل التفسيري البعيد عن (ثنائية الثقلين) والذي يتعامل مع القرآن كتركيب مفرد بمعزل عن أهل البيت عليهم السلام.

ثم لم يبين السيد﵀ (دليله) على كون سورة النبأ المباركة من (العتائق النازلة في أوائل البعثة) فإذا كان السياق ـ كما هي عادته في تعيين ترتيب السور ـ فقد رجع الدليل مرة أخرى للسياق.

وفي بحثه الروائي يقول السيد الطباطبائي: (في بعض الأخبار أن النبأ العظيم علي﵇ وهو من الباطن) وسنأتي لبحث معنى التفسير الباطني إن شاء الله تعالى.

ولو سألنا السيد الطباطبائي: كيف كان المشركون مختلفين في نبأ البعث ويوم القيامة والكل مصر على نفيه وإنكاره؟ فسيجيبنا بقوله:

(وقوله: (الذي هم فيه مختلفون) إنما اختلفوا في نحو إنكاره وهم متفقون في نفيه فمنهم من كان يرى استحالته فينكره كما هو ظاهر قولهم على ما حكاه الله: (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) سبأ: ٧ ، ومنهم من كان يستبعده فينكره وهو قوله: (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون) المؤمنون: ٣٦ ، ومنهم من كان يشك فيه فينكره قال تعالى: (بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها) النمل ٦٦ ، ومنهم من كان يوقن به لكنه لا يؤمن عناداً فينكره كما كان لا يؤمن بالتوحيد والنبوة وسائر فروع الدين بعد تمام الحجة عناداً قال تعالى: (بل لجوا في عتو ونفور) الملك:٢١).

وهذا الكلام بعينه هو ما برر به المفسر السني الفخر الرازي (ت٦٠٦) مسألة اختلاف المشركين فقال في تفسيره ٣١\٣: (هب أنهم كانوا منكرين له لكن لعلهم اختلفوا في كيفية إنكاره، فمنهم من كان ينكره لأنه كان ينكر الصانع المختار، ومنهم من كان ينكره لاعتقاده أن إعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار إنما يكون قادرا على ما يكون ممكنا في نفسه، وهذا هو المراد بقوله: (هم فيه مختلفون))، واستخدام عبارة (لعلهم) تدل أن الرازي نفسه غير مقتنع تماماً بطرحه!

ثانياً: السيد ناصر مكارم شيرازي في (الأمثل).

يقول صاحب الأمثل في تفسيره ١٩\٣١٩: (أورد المفسرون آراء متباينة في المقصود من (النبأ العظيم)، فمنهم

من اعتبره إشارة إلى يوم القيامة، ومنهم من قال بأنه إشارة إلى القرآن الكريم، ومنهم من اعتبره إشارة إلى أصول الدين من التوحيد حتى المعاد. وقد فسرته الروايات بالولاية والإمامة... وبنظرة دقيقة إلى مجموع آيات السورة وسياق طرحها، وما ذكرته الآيات اللاحقة من ملامح القدرة الإلهية بعرض بعض مصاديقها في السماء والأرض، وبعد هذا العرض تؤكد إحدى الآيات، إن يوم الفصل كان ميقاتاً ثم مخالفة وعدم تقبل المشركين لمبدأ (المعاد)، كل ذلك يدعم التفسير الأول القائل: بأن النبأ العظيم هو يوم القيامة).

فهو يتبنى أيضاً التفسير القائل بيوم القيامة ويلمح ـ في مكان آخر ـ أن ما ذكرته الروايات من تفسيره بالولاية هو من تفسير الباطن القرآني ويحاول أن يجمع بين تلك الروايات وبين تفسيره بالمعاد بقوله: ((النبأ العظيم) كمفهوم قرآني ـ مثل سائر المفاهيم القرآنية ـ له من السعة ما يشمل كل ما ذكر من معان، وإذا كانت قرائن السورة تدل على أن المقصود منه (المعاد)، فهذا لا يمنع من أن تكون له مصاديق أخرى).

وهو كلام جميل إلا أن ـ كسابقاته ـ يرسخ منهجية (الفصل العضوي) بين عرى ثنائية الثقلين وتفكيك تراكيبها إلى جزئين منفصلين لا يمكن لكل منهما على انفراد أن يعمل كمنظومة ممانعة فاعلة بمعزل عن الثقل الآخر.

ثالثاً: الشيخ محمد جواد مغنية في

(الكاشف).

وفي تفسيره (الكاشف) ٧\٤٩٧ يطرح الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله أن المقصود بالنبأ العظيم هي أصول الإسلام الثلاثة فيقول:

(أصول الإسلام ثلاثة: الإيمان بوحدانية الله، ونبوة محمد، وباليوم الآخر، وقوم رسول الله كانوا أبعد الناس عن هذه المبادئ... هذه المبادئ أو الأصول الثلاثة هي (النبأ العظيم) الذي كان المشركون يسأل بعضهم بعضاً عنه).

والقاسم المشترك بين هذه التفاسير الثلاثة أنها لم تشر إلى ما يربط مصطلح (النبأ العظيم) في سورة النبأ المباركة مع قوله تعالى (قال هو نبأ عظيم) التي قراناها في سورة ص كما إنها اعتمدت السياق منهجية متقدمة في تحقيق النتائج التفسيرية، تمايزت هذه المناهج عن التفاسير السنية بجعلها مفهوم الولاية إما تفسيراً باطنا للآية أو تفسيراً ظاهراً يضاف للتفاسير التي قدمتها المجموعة السنية.

أهل البيت عليهم السلام وتفسير (النبأ العظيم)

وبعد أن عرضنا بحثاً مقارناً عن منهجيات المدارس التفسيرية في تفسير النبأ العظيم لا بد بنا أن نعود للثقل الثاني في منظومة الثقلين الشريفة فنسأله عن تفسير هذا الاصطلاح القرآني إتباعاً للمسلك الصحيح الذي رسمه النبي الكريم أهل بيت الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وقد ورد في ذلك روايات متضافرة (فسرت) النبأ العظيم بأنه (نبأ أمير المؤمنين عليه السلام وولايته) الذي اختلفت فيه قريش ومن بعدها من الأمم، ومن بين تلك المرويات الشريفة:

أولاً: صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قلت له: جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) قال: ذلك إلي إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم اخبرهم، ثم قال: لكني أخبرك بتفسيرها، قلت: (عم يتساءلون)؟ قال: فقال: هي في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول: ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني) الكافي ١\٣\٢٠٧.

وتشير هذه الرواية أن النقاش كان حامياً في الأوساط الشيعية حول المعنى الاصطلاحي لـ(النبأ العظيم) وقد قطع الإمام الباقر عليه السلام الطريق على تلكم الحوارات مفسراً ذلك النبأ بالولاية واستدل على ذلك برواية عن أمير المؤمنين عليه السلام فهي روايتان في رواية واحدة.

ثانياً: في الكافي ١\٤١٨: (عن عبد [الرحمن] بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) قال: النبأ العظيم الولاية، وسألته عن قوله: (هنالك الولاية لله الحق) قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام).

ثالثاً: في الكافي ٨\٣٠ في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام قال: (إني النبأ العظيم والصديق الأكبر وعن قليل ستعلمون ما توعدون).

رابعاً: روى الشيخ الصدوق (ت٣٨١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١\٩: (عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ

العظيم وأنت الصراط المستقيم...).

خامساً: روى الخصيبي (ت٣٣٤) في الهداية الكبرى ص ٩٢: (قول أمير المؤمنين عليه السلام لعلي بن دراع الأسدي وقد دخل عليه وهو محتب في جامع الكوفة فوقف بين يديه، فقال: قد أرقت مدى ليلتك، فقال له: ما أعلمك يا أمير المؤمنين بأرقي؟ فقال: ذكرتني والله في أرقك، فإن شئت ذكرتك وأخبرتك به، فقال علي بن دراع: أنعم عليَّ يا أمير المؤمنين بذلك، فقال له: ذكرت في ليلتك هذه قول الله (عز وجل): (عم يتساءلون، عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) فأرقك وفكرك فيه وتالله يا علي ما اختلف الملأ إلى بي وما لله نبأ هو أعظم مني، ولي ثلاثمائة اسم، لا يمكن التصريح بها لئلا يكبر على قوم لا يؤمنون بفضل الله (عز وجل) على رسوله وأمير المؤمنين والأئمة الراشدين).

سادساً: روى شرف الدين الحسيني (ت٩٦٥) في تأويل الآيات ٢\٧٥٨ عن (محمد بن العباس، بإسناده عن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما لله نبأ هو أعظم مني، ولقد عرض فضلي على الأمم الماضية باختلاف ألسنتها.

سابعاً: وفي نفس المصدر قال: عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون)؟ قال: هو علي عليه السلام لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيه خلاف.

ثامناً: في مناقب ابن شهرآشوب ٢٧٧: (روى علقمة انه خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح ومصحف فوقه وهو يقول: عم يتساءلون، فأردت البراز فقال عليه السلام: مكانك وخرج بنفسه وقال: أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون؟ قال: لا، قال: والله أني أنا النبأ العظيم الذي في اختلفتم وعلى ولايتي تنازعتم وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم وببغيكم هلكتم بعد ما بسيفي نجوتم ويوم غدير قد علمتم ويوم القيامة تعلمون ما علمتم).

تاسعاً: وقال ابن شهرآشوب أيضاً: (وفي رواية الأصبغ: والله إني أنا النبأ العظيم الذي هم مختلفون كلا سيعلمون حين أقف بين الجنة والنار فأقول: هذا لي وهذا لك).

عاشراً: روى المشهدي (ت٦١٠) في المزار ص٤٢١ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: (السلام عليك أيها الوصي البر التقي، السلام عليك أيها النبأ العظيم، السلام عليك أيها الصديق الشهيد، السلام عليك أيها البر الزكي، السلام عليك يا وصي رسول رب العالمين).

ولم ينكر مفسرو الشيعة هذه الأحاديث الشريفة المستفيضة المفسرة لمصطلح النبأ العظيم وإنما اعتبروا أنها تشير إلى تفسير الباطن... فما تفسير الباطن الذي عنوه؟!

التفسير الباطني: هو شكل من أشكال التأويل يعطي تفسيراً لا يتفق مع المعنى الظاهري للكلمة.

ومثاله تفسير الإمام الكاظم عليه السلام لقوله تعالى: (وبئر معطلة وقصر مشيد) الحج ٤٤\ قال: البئر المعطلة الإمام الصامت

والقصر المشـيد الإمام الناطق. «الكافي ١\٤٢٧».

فمن حيث (الظاهر) فإن البئر المعطلة: هـي بئر معطلـة، والقصر المشـيد: هو قصـر مشـيد!! وبالتالي جاء (التفسـير الباطني) بمعنى لا يمكن توقعه من الألفاظ الظاهرية للكلمات القرآنية.

ويمكن الاستدلال بمجموعة من الأدلة على عدم صحة ما ذهـب إليه البعض من تصنيف الروايات المفسـرة للنبأ العظيم ضمن خانة التفسير الباطني وكما يلي:

أولاً: لـو أسـقطنا مفهوم التفسـير الباطـن الذي قدمناه علـى مصطلح (النبأ العظيـم) لوجدنـاه مـن المرونـة بمكان بحيـث يسـتوعب في كنفـه موضوعة (الولايـة) باعتبارها نبأً له شـأن عظيم لا يقل أهميـة عن التوحيد والإيمان بالقيامة ويوم البعث ونبوة الأنبياء والرسل.. فلماذا قبلوا أن يفسـر النبأ العظيم (ظاهراً) في هـذه الموضوعـات وجعلـوه (باطناً) في موضوعة الولاية؟!

ثانياً: إن الإمام الباقر سلام الله عليه عندما فسـر (النبأ العظيم) لم يشـر إليه باعتباره تفسـيراً باطناً كمـا يفعل أحياناً مع ما سواه من التفاسـير بل قال: (لكني أخبرك بتفسيرها).

ثالثاً: إن سـورة النبأ صحيح تحدثت عن يـوم القيامـة ولكنهـا تحدثـت عنه من بـاب يرتبط بأهل البيـت عليهم السلام كقوله تعالى (يـوم يقوم الـروح والملائكة صفاً لا يتكلمـون إلا من أذن لـه الرحمن وقال صوابـا) (٣٨) النبأ، يقول الإمام الصادق سـلام الله عليه: (نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً) المحاسن ١\١٨٣.

رابعـاً: إن روايات أهـل البيت عليهم السلام لم تشر لا تصريحاً ولا تلميحاً لاحتمال وجود تفسـير آخـر للنبأ العظيم غير التفسـير الذي قدمه الأئمة عليهم السلام.

خامسـاً: في ما يخص سبب النزول فقد روى العامة عن (تفسـير القطان عن وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن عبد خير، عن علي بن أبـي طالب قال: أقبل [أبو سـفيان] صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك لنـا أم لمن؟ قال: يا صخر! الأمـر بعدي لمن هـو بمنزلة هارون من موسـى، قـال: فأنـزل الله تعالـى (عم يتسـاءلون عـن النبـأ العظيـم الذي هم فيـه مختلفـون) منهم المصـدق بولايته وخلافته، ومنهم المكذب بهما، ثم قال: كلا ورد هـو عليهـم سـيعلمون خلافته بعدك أنها حق ثم كلا سيعلمون، ويقول: يعرفون ولايته وخلافته إذ يُسـألون عنها فـي قبورهم فـلا يبقى ميت في شـرق ولا غـرب ولا فـي بـر ولا فـي بحر إلا ومنكر ونكير يسـألانه عن الولاية لأمير المؤمنين بعـد الموت يقولان للميت من ربـك وما دينك ومن نبيـك ومن إمامك) رواه ابن شهر آشوب في مناقبه ٢\٢٧٦، والحسـيني فـي تأويل الآيـات ٢\٧٥٨ والسـيد هاشـم البحراني فـي البرهان ٨\١٩٥ وآخرون.

وهـذا الخبـر مقبـول ومعقـول من الناحيـة التاريخية فلقد كان السـؤال عن ولاية الأمر بعد رسـول صلى الله عليه وآله وسلم يشكل نقطة المحـك لدى رؤسـاء القبائـل وأصحاب النفوذ والسـطلة في مكة والجزيرة الذين رأوا في نبوة محمد بن عبد الله الهاشـمي خطراً يهـدد عروش المتنفذين وأصحاب

رؤوس الأموال ويقطع يد الاستعباد التي كانت تمارسها القياديات القرشية الظالمة وبالتالي فالمعركة في نظرهم هي (معركة صراع الإرادات) ولو وعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء من الأمر من بعده لرأيتهم يدخلون في دين الله طمعاً كما دخلوه بعد فتح مكة تحت سطوة السيف وقهر الهزيمة!!

وبعد هذا، لا نستغرب أبداً أن ينعقد القرار الأموي المتحالف مع بعض البيوتات القرشية على إضمار العداء لأمير المؤمنين عليه السلام ولأهل بيته من بعده والتعاطي مع مسالة ولاية الأمر بعد رسول الله كمغنم يتقاسمه رجال القوم فيفضي به كل إلى صاحبه حتى آل الأمر إلى بني أمية فأرجعوا الأمر جاهلية ثانية حتى قال قائلهم:

لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل

إننا ندعو كل المثقفين وأصحاب الأقلام والمؤسسات العلمية والدينية الشيعية إلى إزالة الرواسب التي يمكن أن تكون قد علقت بالأدبيات الشيعية من هنا أو هناك نتيجة للتأثير المتبادل بين المذاهب الإسلامية وحالة التلاقح الفكري التي كانت وما زالت قائمة بين المدرستين ففيما بسط الله لنا من نعمة محمد وآل محمد وهدايتهم غنى عن كل ما سواهم مع تسجيل احترامنا لكل من يخالفنا الطرح الذي طرحناه فإن الحالة الشيعية ليس منغلقة على نفسها بل تعيش هامشاً واسعاً من الرأي والرأي الآخر الذي يمكّنني وأمثالي أن نطرح وجهة نظرنا أمام الآخرين ■

علي عليه السلام قسيم النار والجنة

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**معاشر الناس**، من أحسن من الله قيلاً، وأصدق من الله حديثاً؟ **معاشر الناس**، إن ربكم جلّ جلاله أمرني أن أقيم لكم علياً علماً وإماماً وخليفةً ووصياً، وأن أتخذه أخاً ووزيراً.

معاشر الناس، إنّ علياً باب الهدى بعدي، والداعي إلى ربي، وهو صالح المؤمنين ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾...

معاشر الناس، إنّ علياً مع الحقّ، والحقّ معه، وعلى لسانه.

معاشر الناس، إنّ علياً قسيم النار، لا يدخل النار وليّ له، ولا ينجو منها عدوّ له، إنه قسيم الجنة، لا يدخلها عدوّ له، ولا يزحزح عنها وليّ له...».

أمالي الصدوق ص٨٣

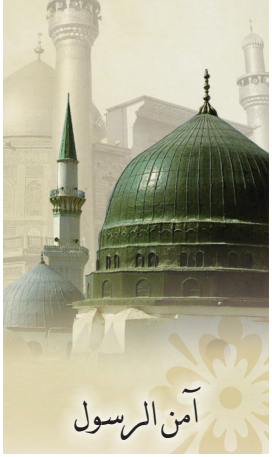

تمام الحج.. لقاء الإمام

السيد علاء الموسوي ●
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

من يتصفح روايات الحج سيجد واضحاً أن حكمة من الحكم الأساسية لهذه العبادة الهامة ..هي تعبيد الناس وتذليل نفوسهم بين يدي الخالق عز وجل، من خلال الشعائر التي قد يصعب فهم مغزاها على الكثير من الناس، وكأن الشارع المقدس أراد لهم أن يعبدوه بما لا يدركون مغزاه بشكل كامل حتى يستخرج من نفوسهم الكِبْر والأنفة، ويركز فيها حالة التسليم. (فالإسلام هو التسليم).

إن المحاولات المبذولة لتفسير العبادات والالتزامات الشرعية والأحكام العملية والوضعية وبيان مغزاها قد لا يصل أكثرها إلى نتيجة قطعية، على أن بعضها الآخر قد يكون واضح المغزى، إلاّ أنّ القارئ لمجموع أحكام الإسلام وقوانينه يجد أن الالتزام بها والإيمان بمصدرها لا بد أن يقترن بالتسليم. وهو يعني الاستسلام لتلك الأحكام الصادرة من الشارع المقدس دون نقاش ولا تردد حتى وإن خفي فيها وجه الحكمة ووجه الفائدة. إن هذا هو مقتضى العبودية الحقّة التي تجب على العبد إزاء خالقه.

وأمّا التمنع من الالتزام بأحكام الشريعة

أو التهـرب من بعضها بحجـة عدم وضوح حكمتها وخفـاء مغزاها فهـذا هو مقتضى (الشِّرْكة) لا (العبودية).

فإن الشريك له حق في أن يناقش شريكه ولا ينصاع لأوامره وأحكامه حتى يفهم جيداً دوافع تلك الاحكام ويقتنـع تماماً بالمغزى والحكمة والفائدة المرجوة منها .

وأمّا العبد الذي آمَنَ سلفاً بالخالق.. وآمن بحكمتـه وعلمـه وعدله ورأفتـه ورحمته... وعلـم أنّـه مملوك لا مالـك. وتأكد أن تلك الأحكام صادرة عن الخالق بشـكل قطعي.. وأنّهـا تتضمـن حكمـاً وفوائد قـد يدركها وقد لا يدركهـا. هذا العبد لـن يفي لمولاه بحق العبودية إلاّ مع التسـليم له والانصياع لأوامره.. سواء ما فهم منها وما لم يفهم... ما أدرك مغزاه وما لم يدرك.

إنّ شـعائر الحج وما تحتويه من أعمال محـددة زمانـاً ومكانـاً وممارسـات غير معتـادة ابتداءً مـن الملبس وحتـى الهرولة في السـعي، والمكوث في منى وغيرها من الرمي وأمثالـه.. كل ذلك يؤكد العبودية لله تعالـى ويبعد الحـاج عن أوهام (الشـراكة) ووهم (أنّـه يجب أن يفهم قبـل أن يعمل).. و(أن يدرك مغزى كل صغيرة وكبيرة قبل أن يقدم عليها)..

فإن كثيراً من تلك الشعائر المقدسة مما لا يمكـن لنا أن ندرك مغزاه بشـكل قطعي سوى العبودية والالتزام والتسليم لله تبارك وتعالى، وسوى أن يكون الله تعالى قد أراد منا ذلك وكفى. مـع علمنا الإجمالي بالطبع أن وراء كل حكم وكل شعيرة مصلحة وفائدة تعود على العامل بها.

لكننـا لن ننتظـر حتى يتضـح لنا وجه الفائـدة. بل سـنقدم علـى الالتـزام بتلك الأعمال تسـليماً وانقياداً. وهـذه الخاصية في عمل المسلم وهي ميزة التسليم مما يعد ميزة يتفوق فيها على أي عمل آخر لا تسليم فيه.

ولو فرض أن أحكام الشريعة عامة كانت واضحة المغزى للإنسان بشكل كامل لما عاد للتسليم والخضوع وجود في أعمالنا (فلا ورَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حتَّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بينَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسلِّمُوا تَسْلِيما)[1].

وذلك لأن الإنسان حينذاك قد يعمل واثقا بالفائدة المترتبة على العمل طالبا لتلك الفائدة وقاصدا للمنافع الحاصلة من العمل بغض النظر عن روح الامتثال التي تكون في الطاعات، وبعيدا عن العبودية التي تلازم التسليم والخضوع. فيكون العمل أقرب إلى العمل النفعي الدنيوي، لا العبادي الروحاني.

إنّنا إذ نقدم على المشاعر المقدسة.. نترك وراء ظهورنا الكثير من البهارج والعناوين والاعتبارات. فالمنزلة الاجتماعية والمراتب العلمية والقدرات المالية والسياسية وغير ذلك مما يحيط الإنسان به نفسه من عناوين وألقاب وهالات حقيقية أو مزيفة.. كل ذلك يعد حائلاً دون حقيقة العبودية لا يزيله إلاّ حالة التسليم المطلق التي نجدها في الحج والعبودية الناتجة من الالتزام بالعمل لأن اللّه أمر به وأراده بغض النظر عن منافعه المحسوسة. وما أجمل ما وصف به أمير المؤمنين عليه السلام حال الناس في الحج بقوله عليه السلام:

(ألا ترون أن اللّه سبحانه وتعالى اختبر الأولين من لدن آدم صلوات اللّه عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً وأقل نتائق الدنيا مدراً وأضيق بطون الأودية قطراً بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة. لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف. ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع أسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة. حتى يهزوا منكبهم ذللاً. يهللون للّه حوله ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له. قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً جعله اللّه سبباً لرحمته ووصلة إلى جنته ولو أراد اللّه سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار وسهل وقرار جم الأشجار داني الثمار ملتف البنى متصل الثرى، بين برة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة وعراص مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغّر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء. ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس ولكن اللّه يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بألوان المَجَاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله وأسباباً ذللاً لعفوه)[2].

تمام الحج

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: (تمام الحج لقاء الإمام).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إذا حجّ أحدكم فليختم حجه بزيارتنا لأنّ ذلك من

تمام الحج).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولائهم ويعرضوا علينا نصرتهم)[٣].

وإذا كان الحج تعبيداً للناس فإن التعريج على الأئمة عليهم السلام والإقرار لهم بالإمامة وفرض الطاعة هو من تمام تلك العبودية؛ لأنّ الله تعالى رسم الطريق إلى مرضاته وعيّن طرائق عبادته، ولم يرض لعباده أن يعبدوه بطرائق مبتدعة وأساليب مخترعة ولم يرض لهم أن يسلكوا إليه من غير الطريق الذي حدده لهم. وقد حاول إبليس ذلك فقال: اعفني يا ربّ من السجود لآدم وأعبدك بعدها عبادة لا يعبدك بها أحد. فقال تعالى: اخسأ فإنّي إنّما أُطاع من حيث أريد لا من حيث تريد

وإذا كان الخضوع لآدم عليه السلام هو شرط قبول العبودية من الملائكة فإن الخضوع لحجج الله هو شرط تمام الحج وثمراته من تسليم وخضوع وإخبات.

إنّ خضوع البشر لبشر مثله يشاكله في ظاهره ويماثله في أطواره ويحاكيه في جملة أحواله، لهو أمر في غاية العُسر والصعوبة.. وهو اختبار حقيقي للطاعة والتسليم وذلك لما جُبل عليه البشر من حسد ومنافرة وتعصب وتكبر.

فإذا استعد هذا الإنسان للهرولة ذليلاً بين الصفا والمروة، وتحمل شدائد المناسك طاعةً وخضوعاً، وطلباً للثواب وخوفاً من الوعيد بالعقاب.. فإن عليه الآن أن يُتم امتحانه بالخضوع والطاعة والتسليم لحجج الله على خلقه، الذين جعل طاعتهم ذروة الامتحان وغاية الاختبار. فرُبّ متدين بصلاة وصيام ومتعبد بأنواع العبادات.. يأنف من متابعة الإمام وينكر فرض طاعته ويحتال للتهرب من هيمنته.

فكان على الحاج وقد أنهى اختبار عبوديته في المناسك وختم امتحان تسليمه في المشاعر أن يتم كل ذلك باختبار نهائي يُظهر فيه تمام تسليمه وكمال طاعته للمولى عز وجل.. بإظهار الخضوع لإمامة من فرض

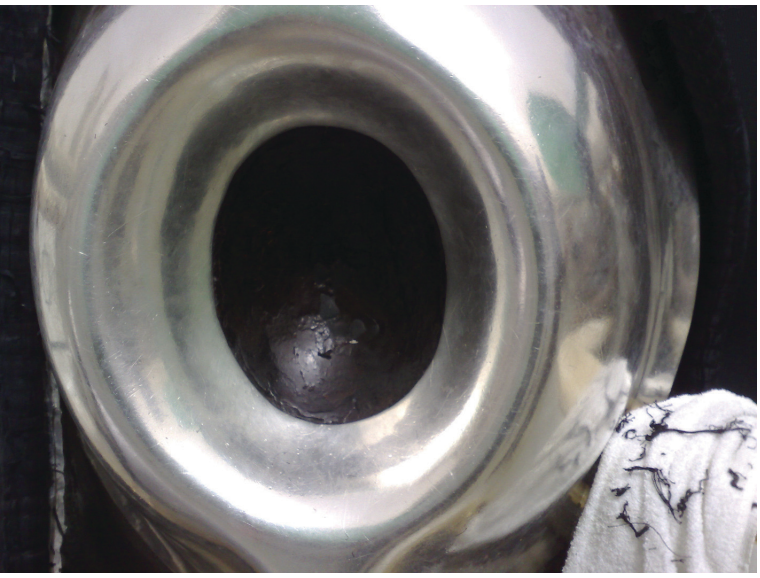

الله إمامته وطاعة من رتب الله طاعته.

وما أكثر الضجيج وأقل الحجيج.. الذين اقتصروا على الهرولة والطواف والحلق والهدي.. ولم يُتموا ذلك كله بالتعريج على من اختاره الله واصطفاه وفرض على الخلق طاعته ورضاه ■

---

(١) سورة النساء: ٦٥.
(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢.
(٣) وسائل الشيعة ج١ ص٢٥٢ باب٢.

هكذا..

يرى الغربيون الإسلام!

حيدر الجد •

ينابيع

مما لاشك فيه أن الإسلام دين التسامح والعدالة وفيه تسود روح التآخي فمنذ أن رفع القرآن شعار (لا إكراه في الدين). تنوعت الدراسات والبحوث التي سلطت الضوء على الإسلام وعلاقة المسلمين بأصحاب الديانات الأخرى خصوصاً أولئك الذين يعيشون في مجتمع واحد تسوده كلمة الإسلام أو عموماً بالنسبة للغربيين الذين يسمعون عن الإسلام كدين يعتنقه كمّ هائل يشكل نسبة عالية من شعوب الأرض.

وكان مدار هذه الدراسات لا يخرج عن نطاق التعريف بحقيقة الإسلام وشريعته السمحاء في حين نهجت دراسات أخرى نهجاً آخراً، محاولة النيل منه وشجب تعاليمه والتنديد بمبادئه باعتباره ديناً قام على السيف وبذا فقد خرجت بمحصلة من ذلك كله مفادها أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع العنف الدموي تسوده حياة البداوة المبنية على سفك الدماء والسلب والنهب وهذه الدراسات بالذات تبنتها سياسات الدول الغربية لتبين لشعوبها وتبرر فعل الاحتلال للدول الإسلامية الذي ما انفكت ترزح تحت وطئته لمئات السنين.

اليوم يقف العالم الغربي بأكمله يراقب المسلمين ويحذر من أفعالهم وكلما ظهر في الأفق الغربي من أعمال شغب أو قتل كان المسلمون أول من يُتهم وأول من يُساءل وتدور حوله الشبهات، وقد يحكم عليهم بالجرم قبل أن توجه إليهم أصابع

الاتهام وكأنما أصبحت ثنائية العنف ـ الإسلام متلازمة اصطلاحية واحدة لا يكاد المسلمون تهشيم أواصرها مهما أبدوا من تصريحات وبيانات تشير إلى أنهم بعيدون كل البعد عن العنف وأنهم يدعون إلى مجتمع السلام، وهنا ينبغي علينا التوقف عند سؤال يثير الاستفهام وهو لماذا ينظر الغرب إلى المسلمين بهذا المنظار؟ ومن المسئول عن توجيه عقلية الإنسان الغربي نحو بغض المسلمين؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ضمن محورين:

أولاً: محاولات المستشرقين الذين اعتنوا بدراسة الإسلام تعميم النظرة الخاطئة اتجاه المسلمين.

ثانياً: تاريخ الإسلام الذي كُتب بطريقة تبين وجهة نظر فرقة دون أخرى والتي عممت ما تبنته كصورة شاملة للإسلام دون النظر لرأي وحقيقة الفرقة الثانية.

المحور الأول:

الاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم وهي لفظة مولدة عصرية من الفعل استشرق ويقال لمن يعنى بذلك من علماء الغرب والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[1].

وقد مارس المستشرقون على طول التاريخ أدواراً خطيرة حاولوا فيها رصد التقدم الذي أحرزه الإسلام عندما انتشرت تعاليمه السمحاء وذاعت مفاهيمه حتى وصلت ديارهم وباتت تهدد الكنيسة ذاتها وكان رد الفعل عنيفاً بقدر تسارع خطوات

الانتشـار الإسـلامي تقول الكاتبـة كارين أرمسـترونغ: (لقد شجب العلماء الغربيون الإسـلام بدعوى أنه دين تجديفي وشجبوا نبيه محمد بدعوى أنه المدعي الأكبر الذي أسس ديناً عنيفاً استخدم السيف كيف يفتح العالم وهكذا فقد أصبح اسم (محمد) الذي حرف إلى (موهاند) بعبعاً للناس في أوربا... كما صور في المسرحيات الصامتة على أنه عدو الحضارة الغربية الذي حارب قديسنا جورج)[٢].

في حين يقدم أحد المستشـرقين رأياً يفسـر فيه لمـاذا يقف علمـاء الغرب ضد الإسـلام قائـلاً: (إن الإسـلام هـو الدين الوحيـد الذي تناقـض مصـادره الأصلية أسـس النصرانية والنظام الإسـلامي هو أكثـر النظم الدينيـة المتناسـقة اجتماعياً وسياسـياً ونحن بحاجة إلى مئات المراكز لفهم الإسـلام لاختراقه فـي صدق ودهاء ولذلـك لا يوجـد لدينـا أمر أكثـر أهمية وأولوية من موضوع تنعير المسلمين...)[٣].

يكشـف النص المتقدم عن رأي أكثرية المستشـرقين الذين غالباً ما يدفعهم رجال الدين والسياسة في الغرب إلى وضع حلول جديـة في إيقاف المد الإسـلامي وكان ما توصل إليه المستشـرقون هـو ما ذكر في نهايـة النص (تنعيـر المسـلمين) أي إثارة النعـرات الطائفية وإيجـاد حالة من النزاع المسـتمر بيـن فـرق الإسـلام خصوصاً العقائدي منه، الذي يؤدي غالباً إلى حدوث مواجهات دموية بين تلك الفرق.

لقد خان المستشـرقون رسالتهم فقد كانوا يظهرون للمجتمـع أنهم باحثون غير منحازين إلا أنهم أصبحوا مجندين لتشـويه الإسلام.

اليوم يعد برنارد لويس عميداً لمدرسة الاستشـراق وهو يهـودي الأصل بريطاني المولـد والجنسـية اهتم بدراسـة التاريخ وبرع في دراسـة التاريخ الإسلامي بشكل خاص حتـى اسـتطاع أن يقدم عـدداً من المؤلفات التي تتخذ من المسلمين بصورة عامـة والعـرب منهم بصـورة خاصة مادة أساسـية لموضوعاتها وأطروحاتها، انتقل برنـارد لويس من بريطانيـا إلى الولايات المتحـدة في منتصـف السـبعينات حيث أصبح محاضراً في جامعة برنستون، وفي عام ١٩٨٢م حصل على الجنسية الأمريكية وصار مؤثراً في الوسط السياسي، بل عُدّ من صناع القرار الأمريكي، شارك برنارد لويـس مع صاموئيـل هانتغتـون صاحب نظريـة (صـراع الحضارات) وفرانسـيس فوكوياما صاحـب نظرية (نهايـة التاريخ) في تكوين حلقة فكرية تثير مخاوف الغرب اتجـاه الإسـلام، فقـد عملت علـى ربط الإسلام بالإرهاب بطريقة ترعب الغربيين عموماً .

نجحـت هـذه المجموعـة ودعاتهـا والمروجيـن لأفكارهـا ومناهجها الفكرية الاستعلائية في أدلجة التنميط المستشري أصـلاً فـي المجتمـع الأمريكـي لصورة المسـلمين السـلبية وقـد روجـت هـذه المجموعـة لتعميمـات أصبحـت فيما بعد متداولة على ألسـن النخب كما على ألسنة العامة منها (هذا هو الإسلام)، (المسلمون أعداء التغيير)، (هم هكذا)، (الإسلام ضد الحرية)، (الإسـلام نقيض الديمقراطية)، وزاد مـن تفشـي هـذه الظاهـرة وجـود مستشرقين من أمثال برنارد لويس يملكون من الخلفيـة الثقافية والفكرية والمؤهلات الأكاديميـة والبحثيـة والخبرة فـي الطرح والنقـد والمجادلة وصناعة الرأي ما يسـد

مراميهم ويؤيد أطروحاتهم المؤدلجة[٤].

أكد برنارد لويس على (أن المواجهة القادمة ستكون قائمة بين المسلمين والغربيين لا محالة)[٥]، وبذا ستكون الحرب على الإرهاب المبرر الأول لتهيئة الرأي العالمي عامة والغربي بشكل خاص لتقبل فكرة المواجهة وفيما أخال أن بدايات هذه المواجهة كان الحرب على أفغانستان والعراق تحت مسميات (تحرير الشعوب) اللهجة القديمة واللهجة العصرية (محاربة العنف والإرهاب).

يضيف برنارد لويس رأياً آخراً فيقول: (الإسلام الحضارة الوحيدة التي وضعت استمرار الغرب في شك، ولقد فعلت ذلك مرتين على الأقل، الاستيلاء على القسطنطينية في ١٤٥٣م ومحاصرة فينا سنة ١٥٢٩م وأن هذا النمط من الصراع لا يكمن في ظاهرة التحولات المسيحية في القرن الثاني عشر أو أصولية القرن العشرين الإسلامية بل أنها تنبع من طبيعة الديانتين والحضارات المؤسسة على مبادئها)[٦].

ولعل لويس لم يتطرق في رأيه هذا إلى مبدأ التسامح الإسلامي، والتعايش السلمي فكثيراً ما تعايش المسلمون والمسيحيون في مجتمع واحد بصورة سلمية، بل راح المسلم يحضر مناسبات المسيحي والمسيحي يقابله بالمثل وهذا ما نجده في المجتمعات الغربية نفسها والشواهد اليوم كثيرة فالمسجد والكنيسة قد يتجاوران اليوم في قلب أوربا المسيحية، ولكن ما عسى أن يقدم لويس من صورة مشرقة للإسلام وهو يهودي لا يستطيع التجرد من الانحياز الديني دون تعضيد رأي اليهود في تسويق صورة بشعة للإسلام للمجتمعات الغربية.

يعاضد برنارد لويس صاموئيل هنتينغتون حيث يقول: (أربعة عشر قرناً أثبتت أن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالباً عاصفة، كل واحد منهما كان نقيضاً للآخر)[٧].

حيال هذه المواقف التي تعزز فكرة عدوانية الإسلام يقف من يدافع عن الإسلام كما في قول الباحثة كارين أرمسترونغ: (إنه من الخطأ أن نتصور أن الإسلام دين عنف أو تعصب كما يقول البعض أحياناً، إن الإسلام دين عالمي ليس فيه عدوانية شرقية أو شيء ضد الغرب)[٨]، ويتخلص الباحث عادل الجبوري إلى نتيجة خرج بها كمحصلة من بحثه (الإسلام والغرب) ضمن سلسلة قراءات معاصرة فيقول: (...فالكيان الذي وضع أسسه خاتم الأنبياء محمد ﷺ وفقاً للإرادة الإلهية لم يك كياناً اجتماعياً فحسب يهدف إلى صياغة منظومة علاقات

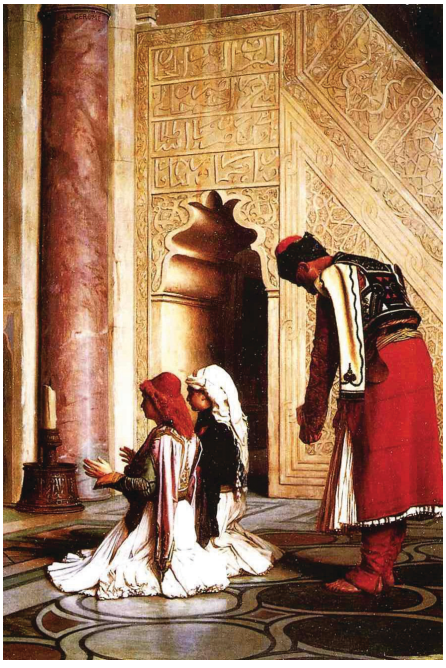

بيــن الأفراد تخضــع للمعاييــر الأخلاقية والإنسانية ولم يك كياناً اقتصادياً فحسب بل وجد لتحقيق قدر من المساواة والعدالة في مجتمع كان التفاوت الطبقي فيه هو السمة الغالبة بين أفــراده)[٩]، وقد توصل الباحث عادل الجبوري إلى تحليل يعتقد فيه إنه يفك رموز جدلية كيف ينظر الغرب إلى الإسلام حيــث يقــول: (... أمــا في الغــرب فتوجد رؤيتان فالبعض يعتقدون أن تعزيز الوجود الإسلامي هناك يمكن أن يساهم إلى حد ما فــي كبح جماح حالة العداء التاريخي وإزالة العقد التي يحملها المســلمون في نفوسهم حيــال كل ما هو غربــي، وبالتالــي تغيير طرائق تفكيرهــم وقناعاتهــم بينما يحذر فريق آخر بشدة من المخاطر التي يحملها ذلك التدفق البشــري الهائل من بقاع العالم الإسلامي إلى البلدان الغربية تلك المخاطر ترتبط بالقيم الثقافية والأنماط الســلوكية والاعتبارات الاقتصادية ويدعو إلى البحث عن الســبب والوســائل الكفيلة للحد من أو القضاء على حالة التدفق هذه)[١٠].

المحور الثاني:

قــد يتداخــل المحــور الأول والثانــي كثيراً حيث يبني المستشــرقون الحياديون أطروحاتهم على قراءاتهم لأدبيات الإسلام والتمعن فــي تاريخه وبالتالي يقدموه نتاجاً جاهزاً للغربيين فيأخذوه كما هو.

ســاهم صنــاع كتابــة وتدويــن التاريخ الإســلامي ومنــذ بداياته في بلــورة فكرة معاديــة للإســلام عنــد الغربييــن عموماً والمستشرقين منهم بشكل خاص فقد كُتب التاريخ الإســلامي بأيدي لم تكن أمينة في طرحها خضعت للميل العاطفي والإغراءات المادية والخوف من الســلطة الحاكمة التي غالباً ما شــكلت التاريخ الإسلامي بطريقة تخــدم مصالحها ووجودهــا وتبرر كل فعل قد ينعكس سلباً عليها.

إضافــة لذلك فقــد ســرد المؤرخون وكتاب ســيرة المســلمين نفســهم قصصاً تثير الآخريــن وقد عممها المستشــرقون على المسلمين دون أدنى محاولة لاستقراء أراء الفرق الإســلامية الأخــرى حول تلك القصــص، ولو أخذنا نموذجــاً منها لرأينا فــي قصة مالك بن نويــرة ما يعكس صورة العنــف والإرهاب بعينه فقد امتنع مالك بن نويرة زعيم بني يربوع التميميين من إعطاء زكاة الأموال إلا للخليفة الشــرعي فبعث له الخليفــة الأول خالــد بن الوليــد كي يجبي الــزكاة منه أو يناجزه القتال على أنه وقومه ارتــدوا بعــد إيمانهــم فأبى مالــك فاتهمه خالد برجوعه عن الإســلام فقال مالك: بل إنا على الإســلام فأمر خالــد ضراراً وكان معــه أن يقتل مالــك فضرب عنقــه وجعل رأســه أحد أثافي قدر طبــخ فيه الطعام ثم تــزوج خالد زوجة مالك فــي تلك الليلة[١١]، ولما وصل الخبر إلى أبي بكر بواسطة أبي قتــادة الأنصاري الذي حلف ألا يســير في جيش فيــه خالد قال أبو بكــر: (لقد فتنت الغنائــم العرب وترك خالد ما أمرته) فقال لــه عمر ابن الخطــاب وكان حاضراً عليك أن تقيده بدم مالك فســكت أبــو بكر ولما عاد خالد دخل المســجد وقد صدئت ثيابه مــن الحديد وفي عمامته ثلاثة أســهم فلما رآه عمر أنكر عليه فعلته وقال: أرياءً يا عدو الله عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحــت امرأتــه أمــا والله إن أمكنني الله فيك لأرجمنك ثم تناول الأسهم من عمامته فكســرها وخالد ســاكت لا يــرد عليه ظناً أن ذلــك عن أمر أبي بكــر ورأيه فلما دخل

على أبي بكر وحدثه صدقه فيما حكاه وقبل عذره فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك فقال أبو بكر إليه يا عمر ما هو بأول من أخطا ارفع لسانك عنه ثم ودّي مالكاً من بيت مال المسلمين[١٢].

ترى ما يقول الغربيون لو اطلعوا على هذا النص الذي يكشف عن أفضع صورة للعنف، حيث قتل سيف الله المسلول خالد بن الوليد شخصاً مسلماً امتنع عن إعطاء الزكاة ثم زنى بزوجة القتيل ليلة قتله ثم عمد إلى رأس المقتول فوضعه تحت القدر لكي يطبخ عليه الطعام! ويجد من يدافع عنه بأنه ليس أول من أخطأ ثم تُدفع دية المقتول المظلوم من بيت مال المسلمين وكان شيئاً لم يحدث!، في حين نرى صورة معاكسة تماماً لذلك عند وقوفنا على وصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام حينما ضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه فقال عليه السلام: (إن بقيت رأيت فيه رأيي وإن هلكت من ضربتي فاضربه ضربة ولا تمثل فيه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)[١٣].

هل قرأ الغربيون التاريخ من جهة أخرى غير جهة الطبري والذهبي وابن الأثير وابن خلدون والخطيب البغدادي وابن عساكر وغيرهم؟ هل اطلعوا على الإسلام من منظار أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟ يجب عليهم أن يطلعوا على الإسلام من هذا المنظار حتى تتضح لهم رؤية مغايرة عما وصلت إليهم ■

---

(١) أحمد رضا، معجم معاني اللغة، ٣١١/٣.
(٢) الإسلام في مرآة الغرب، ص١٤.
(٣) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، ص٥٩.
(٤) من مقالة (بطريرك الاستشراق).www./bentjbail.com/articales
(٥) الإسلام والغرب، راجي أنور هيفا، ص٢٢٦.
(٦) المصدر السابق، ص٤١.
(٧) المصدر السابق.
(٨) الإسلام في مرآة الغرب، ص١٤.
(٩) الإسلام والغرب، ص١٤٣.
(١٠) المصدر السابق، ص١٣٦.
(١١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣/٣.
(١٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧٩/١.
(١٣) ابن أبي الفتح الأربلي، كشف الغمة، ٦٠/٢.

ولدا مسلم بن عقيل عليهما السلام
قصة الشهادة.. وتاريخ المرقد

جواد عبد الكاظم محسن •
باحث وكاتب

ينابيع

لم ترد قصة شهادة إبراهيم ومحمد ولدي مسلم بن عقيل عليهم السلام مفصلة في كتب المقاتل المعروفة، ولعل أقدم من رواها دون ذكر اسميهما أو تحديد مكان شهادتهما هو شيخنا الصدوق ـ أعلى الله مقامه ـ في أماليه، وتعد روايته الأكثر وثوقاً لدى أغلب المؤلفين وخطباء المجالس الحسينية الذين تعرضوا لهذه الواقعة المؤلمة، ورواها الشيخ فخر الدين الطريحي ـ نوّر الله مرقده ـ في منتخبه عن أبي مخنف رغم أن القصة لم ترد في النسخة المطبوعة والمتداولة من كتاب المقتل، وأعاد هذه الرواية مع سندها العلامة محمد باقر المجلسي قدس سره في بحار الأنوار، وأعقبها برواية ثانية عن صاحب المناقب القديمة، وتكاد الروايتان لا تختلفان في سير الأحداث إلا أن الرواية الثانية ذكرت اسمي الصبيين، وهما إبراهيم ومحمد، وجعلت نسبهما إلى ولد جعفر رضي الله عنه، وهو ما استبعده أغلب المؤرخين لشهادتهما.

ترتبط قصة شهادة ولدي مسلم بن عقيل عليهم السلام بواقعة الطف التي حدثت سنة ٦١هـ، وهما صبيان صغيران رافقا أسرتهما التي انضمت إلى موكب الإمام الحسين عليه السلام، وقدمت معه من المدينة المنورة إلى أرض كربلاء، وشهدا انجلاء غبار ساحة القتال عن مصرع أبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ومجموعة من الأقمار المنيرة من الآل والأنصار، ولما هجم جند

ابن سعد (لعنه الله) على المخيم، ونهبوه وأشعلوا فيه النيران، تسلل هذان الصبيان الصغيران إلى خارج المخيم، وهربا على وجهيهما لا يلويان على شيء، إلا أنه سرعان ما قبض عليهما ليودعا في سجن الكوفة.

وبعد مرور عامل كامل على سجنهما، وهما في معاناة شديدة، قررا أن يخبرا السجان ويدعى مشكور بأمرهما فعرفهما، ورقّ لحالهما وأسف لما أصابهما من عذاب وضيق، فقرر إطلاق سراحهما، وفتح لهما باب السجن بعد أن أحضر أطيب ما يستطيع إحضاره من الطعام والشراب ليتجهزا به، وقد أظهر الشفقة عليهما وحسن المعاملة معهما، وقبيل منتصف الليل وقد هدأ المكان، وخلت الطرقات من المارة، أخرج مشكور الصبيين من السجن، وأعطاهما خاتمه، وقال لهما: يا ولديّ إذا وصلتما القادسية عرّفا شخصيكما إلى أخي، وأعرضا عليه خاتمي علامة فهو يكرمكما ويوقفكما على الطريق بل سيوصلكما إلى المدينة، ولم ينس وهو يودعهما أن يوصيهما بالحذر الشديد والسير ليلاً والاختباء نهاراً كي لا يكشف أمرهما، ودعا الله تعالى أن يجعل لهما فرجاً ومخرجاً.

وخرج الصبيان محمد وإبراهيم عليهما السلام يبغيان القادسية أملاً في النجاة، وقد لفتهما ظلمة الليل، ولم يكونا خبيرين بالطريق، فكان سيرهما في الاتجاه المعاكس، ولزما شاطئ النهر حتى دخلا بستان وارفة، وكان الصبح قد طلع عليهما، فعثرت

عليهم جارية حبشية كانت تروم الاستقاء من ضفة النهر القريبة منهما، وسألتهما عن أمرهما، وعندما سمعت قصتهما رقت لحالهما، وطيّبت خاطرهما، وسارت بهما إلى مولاتها، وهي من شيعة أهل البيت عليهم السلام التي ما أن سمعت بهما حتى هرعت إليهما حافية، واستقبلتهما بالبشرى، ورحبت بمقدمهما، وأنزلتهما خير مكان في الدار، وخدمتهما بنفسها خدمة تليق بحقهما، ولم تكتف بذلك بل أعتقت جاريتها سروراً برؤيتهما، وأوصتها أن تكتم الخبر خشية أن يكتشف زوجها الفاسق وجودهما، ويتسبب في إلحاق الأذى بهما.

وبلغ ابن زياد (لعنه الله) خبر إطلاق مشكور السجان للصبيين من السجن، فأرسل في إحضاره وهو يستشيط غضباً، وسأله عن الصبيين؟ فأجابه بشجاعة: لقد أطلقت سراحهما بعد أن عرفتهما كرامة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال ابن زياد والشر والشرر يتطاير من عينيه: أأمنت من سطوتي؟! أما خفت عقوبتي؟.. فقاطعه مشكور بكل هدوء وجرأة: بل خفت عقوبة ربي.. ويلك يا ابن مرجانة قتلت أباهما، وأيتمتهما على صغر سنهما، فما تريد منهما.. فثار ابن زياد ودعا الجلاد في الحال ليجلده خمسمائة جلدة قبل أن يأمر بضرب عنقه، وقد تحمل مشكور عذاب الجلد وأمر الموت بجنان ثابت، وهو يردد: هذا في الله وفي حبّ أهل بيت رسول الله قليل تم راح يسبح لله تعالى ويقدسه ويقول: اللهم أستعين بك وأطلب منك الفرج والروح والصبر، فإنني قتلت في حبّ أهل بيت نبيك، اللهم ألحقني بنبيك وآله.. وطلب شربة ماء فلم يسقوه

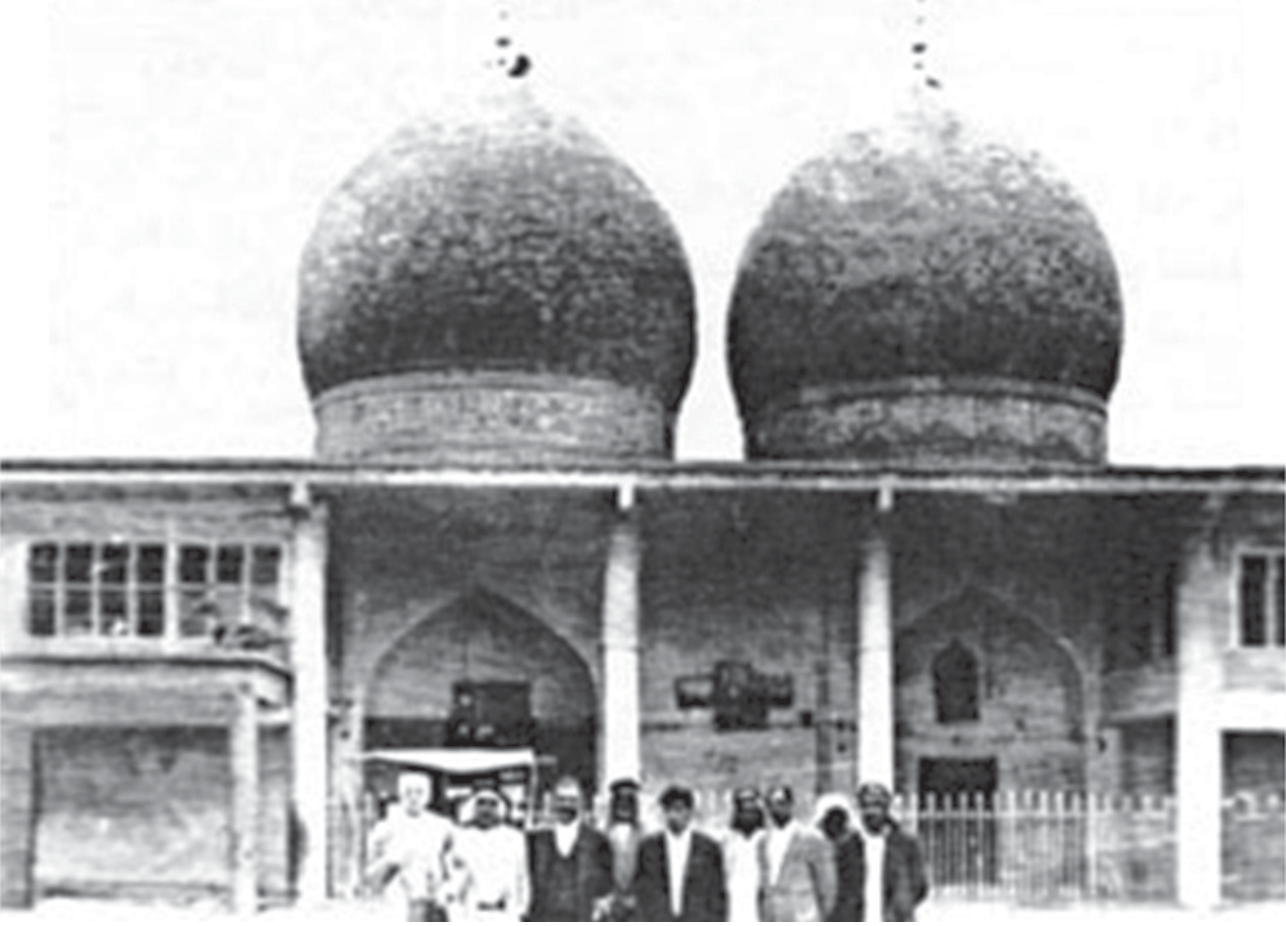

صورة قديمة لمرقد ولدي مسلم بن عقيل عليهما السلام في خمسينيات القرن الماضي
ويبدو فيها السادن الأسبق وبعض معاونيه مع عدد من الزوار المتبرعين لتعمير المرقد الشريف

فسكت وصبر حتى فارق الحياة رحمه الله تعالى.

ونادى ابن زياد في شوارع الكوفة وخارجها أن من جاءني بولدي مسلم بن عقيل فله الجائزة العظمى، وسوف أعطيه ألف درهم عن كل واحد منهما، وكان زوج تلك المرأة المؤمنة التي آوتهما ويدعى الحارث بن عروة من جملة من طلبهما، وجد كثيراً في البحث عنهما طمعاً في نيل جائزة ابن زياد، ولم يتوقف بحثه وتكالبه إلى أن توارت الشمس في المغيب حزينة، وكأنها تستنكر فعله الشنيع هذا.

وبعد أن مضى شطر من الليل عاد الحارث إلى داره خائباً، وحدّث زوجته عن هروب الصبيين من السجن وجائزة ابن زياد وسعيه للحصول عليها، فحذرته زوجته من عاقبة مساعدة الظالم وجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصماً له يوم القيامة، فنهرها فقامت واجمة، وأحضرت له الطعام والشراب، وبعد أن فرغ منه ولج فراشه لينام، ولكنه أحس بالصبيين فسأل زوجته عنهما فأصابهما الهلع، وحاولت الدفاع عنهما، فضربها وأبعدها بالقوة، وأحضر حبلاً متيناً وشد وثاقهما شداً قوياً، وعند الصباح دعا غلاماً له وناوله السيف، وأمره أن يأخذ الصبيين وينطلق بهما إلى شاطئ الفرات ويضرب عنقيهما، ولكن أبى أن يفعل ذلك بعد أن عرفهما وأنكب مقبلاً أقدامهما، ولما علم الحارث بذلك قيل قتل غلامه، ولحقت به زوجته مع ابن لهما،

وحاولا ثنيه عن تنفيذ جريمته، لكنه غضب عليهما وحمل على زوجته فضربها بالسيف فسقطت مغشياً عليها، فاستنكر الابن فعلته، فحمل عليه هو الآخر وضربه بالسيف وقتله، ثم اتجه نحو الصبيين يريد إكمال جريمته بقتلهما، فراح يقدم كل منهما نفسه قبل أخيه، فقام الحارث (لعنه الله) بضرب عنق محمد ثم أعقبه بإبراهيم، ورمى ببدنيهما في نهر الفرات، وأخذ رأسيهما ووضعهما في مخلاة، وحملها مسرعاً نحو قصر الإمارة بالكوفة.

ولما دخل ومثل بين يدي ابن زياد بذلة، ثم كشف عن الرأسين الشريفين، وقد غطتهما الدماء، سأله ابن زياد لِمَ قتلتهما يا هذا ؟فأجابه الحارث بلهفة وطمع: من أجل الجائزة!! فسأله أين ظفر بهما؟ فأجابه في داري، وقد أضافتهما امرأة لنا.. قال ابن زياد: أفلا أتيت بهما حيين لنا لكنت ضاعفت لك الجائزة ؟ فأجاب الحارث متلكئاً خشيت الناس أن يخلصوهما من يدي وأحرم من الجائزة.. واستمر الحوار بينهما وقد تصاعد الغضب عند ابن زياد الذي أمر أحد الحاضرين في مجلسه بضرب عنق الحارث، وإعادة الرأسين الشريفين ورميهما في الموضع الذي رمي فيه بدنيهما..

وتقول الرواية إن شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم قاموا فيما بعد بإخراج الجثتين مع رأسيهما من النهر، وتولوا أمر دفنهما في ذات المكان الذي استشهدا فيه ؛ ليكون فيما بعد مشهداً شريفاً ومزاراً مقدساً يقصده المسلمون من شتى بقاع الأرض ليتبركوا بزيارته، ويستذكروا عنده جانباً من وقعة الطف الأليمة والتضحية السخية لأبي الشهداء والأحرار الإمام الحسين عليه السلام، ووقفته الخالدة فيها.

عمارة المرقد

ظلت عمارة مرقد ولدي مسلم بن عقيل عليهما السلام لحقبة من الزمن متواضعة لا تتعدى البناء الطيني، والتسقيف بالحصران وجذوع النخيل حتى حلول سنة ١٢٢٠هـ إذ أقيم أول بناء لصحن المرقد، وينسب بناؤه إلى الحاج محمد حسين الصدر وزير فتح علي شاه، وكان البناء شبيهاً ببناء الخانات المعدة لاستراحة وإيواء الزائرين حيث أقيم وسط الصحن جدار قسمه إلى نصفين: الأول مما يلي المدخل استخدم كإسطبل لربط وحفظ الحيوانات التي كانت واسطة النقل الوحيدة للزائرين في ذلك الزمن، والنصف الثاني وهو قريب إلى الضريح فكان ساحة ومقراً لجلوس واستراحة الزائرين أنفسهم.

وفي سنة ١٣٥٥هـ قدم جماعة من الزوار الإيرانيين لأداء مراسيم الزيارة المعتادة للعتبات المقدسة في العراق، وهم: آقا رضا جعفري، والحاج معين خرازي، والحاج قلوم علي التتنجي، والحاج مرتضى كياهي، فاستأذنوا المرجع الديني الأعلى يومذاك السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره في رفع الجدار الفاصل فأذن لهم فرفعوه، وجعلوا الإيوانات غرفاً لإستراحة الزائرين، وكان قد سبق ذلك بناء البهو (الطارمة) سنة ١٣٥٢هـ من التبرعات العامة بإشراف البناء (الأسطة) حمودي البغدادي.

وقامت عمارة تالية سنة ١٣٧٦هـ في الجهة الغربية من الصحن بعد أن خصصت الحكومة العراقية آنذاك في ميزانيتها مبالغ لتعمير العتبات المقدسة، فتقدم سادن

المرقد وقتها الحاج علي حسين هلال بطلب تحريري إلى الجهة الحكومية المختصة يلتمس فيه منحه مبلغ ألفين وخمسمائة دينار لتعمير الصحن فاستجيب لطلبه. وفي سنة ١٣٨١هـ عاد الجماعة الإيرانيون المساهمون في رفع الجدار القديم الفاصل للصحن، وأوصلوا الماء الصافي من الإسالة لخدمة وإرواء الزائرين، كما اتصل التيار الكهربائي بالمرقد الشريف والقرية المجاورة سنة ١٣٨٤هـ، وكانت قبل ذلك قد نصبت مولدة سنة ١٣٥٩هـ لإنارة المرقد من تبرعات الأهالي وتولى نصبها وتشغيلها محمود الحاج حمود القنبر.

لم تنقطع أعمال الصيانة والترميمات والتجديد في المرقد الشريف خلال العقود الأربعة الأخيرة، فقد جددت الجدران واستحدثت أبنية جديدة حتى جاءت سنة ١٣٩٤هـ فجددت عمارة المرقد، وكان للعلامة الشيخ علي القسام مع عدد من مساعديه مسعى مشكور في انجاز هذه العمارة التي توزعت كلفتها بين وزارة الأوقاف والأهالي بما تبرعوه من أموالهم الخاصة.

وعقب سقوط النظام الصدامي البائد سنة ١٤٢٤هـ بدأت حملة جادة لتوسيع المرقد الشريف تولى أغلب تمويلها الزوار الإيرانيون، فأضيفت مساحة جديدة للحرم من الجهة الشمالية، وأنشئت قاعة كبيرة جانبية ألحقت بالمرقد الشريف، ثم جاء تذهيب القبتين وإنشاء منارتين جديدتين، ثم أبدل الصندوقين الموضوعين على الضريحين الشريفين بآخرين جديدين من الذهب الخالص أرسلا من إيران وقد جرى احتفال كبير بهذه المناسبة حضرته شخصيات دينية وسياسة عديدة ■

الشيعة.. العلويون في تركيا

أسرة المجلة •

تعرف رسمياً بجمهورية تركيا وهي الدولة التي يقع الجزء الأكبر منها في جنوب غرب آسيا والجزء الآخر الصغير منها في جنوب شرق أوروبا. ويقع مضيقا البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة ـ التي تصل البحر الأسود ببحر إيجة وتصل آسيا بأوروبا ـ في أراضيها مما يجعل موقعها إستراتيجياً ومؤثراً على الدول المطلة على البحر الأسود.

ويحدها جورجيا وإيران وأرمينيا وأذربيجان شرقاً، والعراق وسوريا والبحر المتوسط جنوباً مع حدود بحرية مع قبرص، وبحر إيجة واليونان وبلغاريا غرباً، والبحر الأسود شمالاً.

ينابيع

بعد الدعوة الموجهة إلى مكتب سماحة سيدنا المرجع الديني الكبير السيد الحكيم (مدّ ظله) من الأخوة الشيعة الجعفرية في اسطنبول لوضع حجر الأساس لمؤسستهم الضخمة الراعية لشؤون الشيعة والتي تسمى (الزينبية)، توجه الوفد المؤلف من السادة السيد عز الدين الحكيم نجل سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)، والسيد عبد الحسين القاضي، والسيد قاسم من أهالي مدينة

أنقرة، العاصمة التركية.. صورة من الجو

تلعفر، إلى اسطنبول وأحلوا ضيوفاً على الشعب التركي. وقد كان من نيتهم ـ بعد تأكيد سماحة السيد عليهم ـ التحرك نحو الشيعة في تركيا لاستغلال السفرة التي قد لا تتكرر مرة ثانية، تم تسجيل مشاهداتهم وقراءاتهم للوضع العام هناك، ورأينا نحن ـ أسرة مجلة ينابيع ـ أن ندون هذه السفرة المباركة بعد الاطلاع على تفاصيلها من السادة ونجعلها (تحقيقاً) في مجلتنا ينابيع.

طبيعة الدولة التركية

تمتد الدولة التركية على طول ساحل البحر الأسود من جهة الشمال وجزء كبير من البحر المتوسط من جهة الجنوب وتحدها من جهة الشرق جمهورية جورجيا وأرمينيا وإيران بينما تحدها من جهة الجنوب الشرقي العراق ومن جهة الجنوب سوريا. أما من جهة الغرب فتقع اليونان وبلغاريا في الشمال الغربي تقريباً.

ويتسم مناخها بالفصول الأربعة فمعتدل، وحار، وصيف جاف، وشتاء رطب، وقلما نجد بلدة من البلاد تحتوي على هذه الفصول الأربعة بهذه الصفة.

أما الكثافة السكانية فيبدو من الإحصائيات الأخيرة التي تذكر أن سكانها يناهز التسعة والستين مليون شخص وعلى التحديد (٦٨،٩١١،٢٢٩) شخصاً، وإذا لوحظت نسبة المعدل للنمو السكاني لها وهو واحد وأربعة وستين في المائة (١،٦٤) وأن الإحصائية المذكورة هي من إحصاء سنة ألفين وثلاثة يكون المعدل السكاني قد ناهز السبعين مليون شخص الآن أو أكثر.

لقاء الوفد مع العلماء العلويين (الدده)

قد يلاحظ البعض أن الحديث عن تركيا البلد العلماني الذي لا ربط له بالدين ومراكزه يعد حديثاً فضولاً لا فائدة فيه، لكن لابد من إلفات النظر إلى النسب السكانية من حيث الديانات والطوائف لمعرفة حجم الشيعة والعلويين فيه ليظهر أثر الحديث وأهميته.

فيذكر الدكتور سيف الدين الكاتب في كتابه (الأطلس العربي) المطبوع في بيروت أن نسبة المسلمين في تركيا هي تسعة وتسعين وثمانية بالعشرة (٩٩،٨٪) وعليه فنسبة الديانات الأخرى ضئيلة جداً لا تأخذ طابعاً استراتيجياً في البلد المذكور. إلا أن العلمانية التي أخذت قسطاً وافراً من قانون البلد جعلت عنوان الهوية المسلمة للفرد التركي عنواناً لاغياً فضعفت الهوية الإسلامية، وتضاءلت شيئاً فشيئاً حتى فقد الفرد التركي هويته عبر السنين الماضية، وأصبح اليوم مشبعاً بثقافة الحرية الفردية، أو حرية الثقافة الفردية. ولعل الأول أصح لما نراه من نشاط القوى الإعلامية من الصحف والمجلات الخليعة، بل والتلفاز ونحوها المتجهة باتجاه مسخ القيم والأخلاق، والتوجه لإشباع الغرائز بكل وسيلة من الوسائل التي يراها الشخص ملائمة له، وفي أي مكان من الأماكن العامة والخاصة سواء في الطائرة أم في السفينة أم الحديقة العامة أم في المواقف المخصصة للسيارات أم في المطارات أم... أم... ويجمعها: (في أي مكان يشاء الفرد). ولا مجال لأي داعية أن يدعو إلى أي دين من الأديان أو مذهب من المذاهب. بل حتى المكتبة المركزية التابعة

قصر محمد الفاتح في اسطنبول

لقسم البحوث والدراسات في اسطنبول - وهي مكتبة ضخمة جداً فيها معظم التراث الإسلامي بمختلف طوائفه ومذاهبه - وقد نشرت في موقعها على الانترنت أسماء المخطوطات الموجودة في تركيا عموماً والبالغة خمسمائة ألف (٥٠٠،٠٠٠) مخطوط مع عناوين وجودها وكيفية تحصيلها وعند سؤالنا بعض المسؤولين: هل أنزلتم صور المخطوطات أيضاً، قال: لم نتمكن نشر صور المخطوطات في الانترنت لأنه ممنوع لاعتباره دعوة إلى الدين وهي ممنوعة. فأين (حرية الثقافة الفردية)؟!

الشيعة والعلويون في تركيا

أما الشيعة الجعفرية في تركيا فتتحدث الإحصائيات أنهم ثلاثة ملايين (٣،٠٠٠،٠٠٠) أو يزيدون قليلاً لكن لعدم عثورنا على إحصائيات رسمية وربما أنها غير موجودة أصلاً فقد يرى بعضهم أن الرقم المذكور فيه نوع من المبالغة إلا أنه يتفق مع الآخرين بعدم الفارق الكبير بين الواقع والرقم المذكور.

وأما العلويون الذين لهم امتدادات كبيرة في تركيا فالإحصائية لهم تقرب أن عددهم يناهز الخمس والعشرين مليون شخص إلى الثلاثين مليوناً (٢٥،٠٠٠،٠٠٠-٣٠،٠٠٠،٠٠٠) فتكون النسبة كما في المخطط رقم (١).

سبب انتشار الشيعة في تركيا

أما الشيعة الجعفرية في تركيا فترجع أصولهم إلى الشعب الأذري الذي هو الأودية والجبال الممتدة مع الدول الحدودية

من كل من روسيا ـ والتي هي الآن جورجيا وأرمينيا وما والاهما من المدن وسيأتي ما لذلك من الأثر على واقعهم ـ وإيران وهي مدينة أذربيجان، فهم يتمركزون شرق تركيا بشكل كثيف وبالتحديد في مدينتي (أغدير) و(قرص) وما والاهما.

ثم إن الطبيعة الجغرافية لهاتين المدينتين ومجاورتهما لأرمينيا وجورجيا يشكل طابع الاحتكاك المستمر مع الديانات الأخرى ويفرز ذلك نوعاً من التشنجات بين الآونة والأخرى فتحدث الحروب والاعتداءات لدى الجانبين. حتى نقل لنا أنه في أواسط القرن الماضي وبعد صراعات مستمرة بين هاتين المدينتين وبين أرمينيا ـ الدولة المسيحية والتي كانت من جمهوريات الاتحاد السوفياتي ـ حدثت مذبحة كبيرة لأهالي قرص وأغدير، وقد اصطحبونا إلى النصب التذكاري الذي صنعته الحكومة التركية تعبيراً عن المذبحة في نفس المكان الذي وقعت فيه، وهو عبارة عن ثلاثة سيوف منصوبة على الأرض بارتفاع شاسع.

كان ذلك له الدور الكبير في هجرة الأهالي من مناطقهم إلى قلب تركيا ابتعاداً منهم عن المشاكل. كما أن المعارك المستمرة بين الأكراد والحكومة هناك كان السبب الفاعل أيضاً في الهجرة المذكورة وربما هناك بعض الأسباب الأخرى.

الوضع الجديد في تركيا

دخلوا البلاد التركية متجهين نحو الغرب منها بشكل غير منظم منتشرين في أوساطها مع أن الحظ الأوفر لاحتضان الشيعة الجعفرية كان في اسطنبول المدينة التي تربط آسيا بأوربا، وهي آخر نقطة لدولة تركيا. ومن هنا بدأ الشيعة يجمعون أنفسهم ويهيئون وضعهم للابتداء بفتح بعض المؤسسات الدينية من أجل إقامة الشعائر من الصلاة جماعة وعقد المجالس

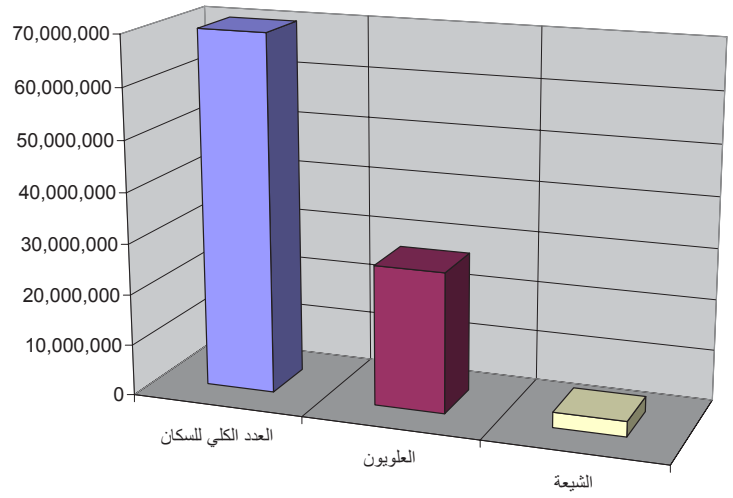

المخطط رقم (١): يوضح عدد الشيعة والعلويين بالنسبة إلى المجموع الكلي لسكان تركيا

الحسينية ونحو ذلك.

وقبل ذلك أرسل مجموعة من الشباب من أجل الدراسة في النجف الأشرف، وقد حدثونا أهالي (أغدير) أن الفضل في ذلك كان لمرجع الطائفة السيد محسن الحكيم قدس سره حيث كان يأمر بأن يكون الطلبة من نفس المناطق وكان يحث على ذلك وما ذلك إلا لحكمته وبعد نظره حيث أن الطالب إذا كان من نفس البلد يسهل عليه التأثير والتعايش بشكل أقوى بكثير ممن يكون خارج البلد ضيفاً عليهم. وكان ثمرة ذلك أن يكون من الذين هاجروا منطقة (أغدير) إلى داخل تركيا واسطنبول بالذات هم من الذين ذكرناهم وتخرجوا من حوزة النجف الأشرف وفي طليعتهم الشيخ حميد توران والشيخ صلاح ومن هنا بدأ العمل بشكل مكثف من هذه المجموعة بالتحديد من أواخر سنة التاسعة والسبعين بعد التسعمائة والألف من القرن الماضي وبدايات الثمانينيات.

مبدأ الحركة الشيعية

فيحدث الشيخ حميد توران من طلبة النجف الأشرف سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) بأنهم دخلوا اسطنبول وبدأوا بالحركة لإنشاء المساجد والحسينيات ولم يكن في اسطنبول للشيعة إلا مسجد واحد آنذاك فأنشؤوا الحسينية الزينبية ـ ومن الطريف أنه يذكر أن سبب التسمية بالحسينية الزينبية كان من أجل ما شاهدوه من أول يومهم من الحضور الكثيف للنساء وأنهن أكثر من الرجال بكثير فسموها الزينبية تيمناً بالعقيلة زينب بنت علي عليهما السلام ـ. وتواصل العمل بشكل موسع حتى بلغت المساجد اليوم أربعين مسجداً منتشرة في اسطنبول الشرقية والغربية. وقد لاحظنا فاعلية الحسينية

مسجد أبي أيوب الأنصاري في اسطنبول

الزينبية بشكل واضح وحضورهم في الساحة الشيعية التركية بشكل مؤثر جداً، وكان معظم من نلقاه يقول: إن الفضل يعود في تأسيس الأربعين مسجداً إلى الحسينية الزينبية حيث ساهمت في تأسيس جملة كبيرة منها.

المساجد في غير اسطنبول وأغدير

أما المساجد المنتشرة في غير اسطنبول فنذكرها لا على سبيل الحصر ـ في غير المنطقتين الشيعيتين أغدير وقرص حيث تنتشر فيهما المساجد بشكل طبيعي ـ :

١ـ أنقرة: مسجد السيد عبد الله كنكر الذي هو من طلبة النجف الأشرف سابقاً. ومسجد الشيخ حسن في منطقة كجورا وهو من طلبة النجف الأشرف سابقاً أيضاً.

٢ـ أزمير: مسجد الشيخ بيرم في منطقة

طرقطلو. ومسجد الشيخ أبي الفضل. ومسجد الشيخ رحمن قران لغ، ومسجده هذا أول مسجد في أزمير. بل في تركيا عدا مساجد أغدير. وجامع أهل البيت عليهم السلام وإمامه السيد جلال أردم.

٣ـ جرم: مسجد أهل البيت عليهم السلام.

٤ـ بورصة: مسجد أهل البيت عليهم السلام في منطقة (ديك فالدرم).

وفي هذه المساجد تجتمع الشيعة الذين يسكنون حولها باجتماعات دورية، فبعضها في كل يوم، وبعضها في أيام الجمعة لصلاة الجمعة، وهكذا باختلاف الأحوال والأوقات. وكلها تقام فيها المراسم الشيعية من المجالس والتعازي في الوفيات والمواليد لأئمة الهدى عليهم السلام، كما أن الذين يرتادون المساجد من الرجال والنساء، ومن الملفت للنظر أن أغلب المساجد يرتاده كبار السن سواء من الرجال أم من النساء. وهذا مؤشر على قضية خطيرة جداً.

الشيعة في اسطنبول

ومن الملاحظ أن التجمع السكاني الكثيف لشيعية أهل البيت عليهم السلام ـ الشيعة الجعفرية ـ يتركز في اسطنبول، كما أن الوضع الاقتصادي وقوة الحركة التجارية فيها تمتاز بنحو ملحوظ، والفارق بينها وبين سائر المدن من قبيل الفارق بين العواصم وسائر المدن. لما عليه اسطنبول من تاريخ الخلافة الإسلامية، والآثار التاريخية المختلفة، إضافة إلى ما تمتاز به من خاصية الربط بين آسيا وأوربا فهي المدينة الوحيدة التي تربط هاتين القارتين، وما يستتبع ذلك من كثرة السياح والزائرين من جميع أنحاء العالم، مع ما يستدعيه ذلك من الاهتمام الكبير من البلدية بالخدمات العامة والتأكيد على إعمار وإدامة البنى التحتية، لذا يخرج البلد من مجموع ذلك بالفخامة والتميز بنحو يستقطب الأنظار.

ثم إن من الجدير بالذكر أن شيعة اسطنبول بالرغم من وجود مساجدهم المنتشرة والتي بلغت الأربعين مسجداً بين اسطنبول الآسيوية واسطنبول الأوربية إلا أن لديهم اجتماعاً عامّاً في أيام معينة من عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام يجتمعون فيها كلهم رجالاً ونساءً في مكان واحد إحياءً لذكرى سيد الشهداء عليه السلام وذلك في الحسينية الزينبية إضافة إلى مجموعة من السنة والعلويين. حتى سجل الاجتماع المذكور رقماً قياسياً في كتاب (جنيس) للأرقام القياسية. وهذه النشاطات التي تذكر للحسينية الزينبية من قبل القائمين عليها وحسن الإدارة التي تتكفل بتهيئة مثل هذا الاجتماع من دون مشاكل تذكر، أثار هاجس أبناء السنة وبدأوا يلومون علماءهم عن إخفائهم قضية الحسين عليه السلام عليهم، مما دعت الأوقاف السنية (ديانت) علماء السنة أن يذكروا قضية الحسين عليه السلام في الجمعة التي تسبق عاشوراء لإعلام الشعب السني بقضيته عليه السلام. ومن هذا نستكشف قوة تأثيرهم على الواقع السني في اسطنبول اليوم.

ومن هذا الواقع انبثق مشروع الزينبية الجديد وهو مؤسسة ضخمة في مساحة خمسين ألف متر مربع تحتوي على عدة مرافق حيوية كلها تصب في خدمة شيعة أهل البيت عليهم السلام في تركيا.

دور الأوقاف في بناء المساجد الشيعية

ثم إن القانون في تركيا يقضي بإشراف دائرة الشؤون الدينية (ديانت) إشرافاً تاماً

على المساجد والحسينيات وفي كثير من الأحيان تساهم هذه الدائرة في الدعم المادي الكبير لإنشاء المساجد ـ حسب نشاط القائمين وتحركهم وضغطهم على الدائرة المذكورة ـ ثم تعين الدائرة هيئةً تسمى بهيئة الأمناء من أهالي المنطقة والقائمين على المسجد، ويكون تحديد إمام المسجد بيد هذه الهيئة. ولأهالي المنطقة ـ حينئذٍ ـ دور كبير في تحديد بعض الأمور المتعلقة بالمسجد بعد الضغط على أمناء المسجد.

لذا نلاحظ أن الأهالي هم الذين يحددون مصيرهم باختيار إمام المسجد أو طلب إنشاء مدرسة أو مكتبة أو غير ذلك من المرافق الحيوية التابعة للمسجد، كما أن لهم إقامة أي نشاط ديني أو ثقافي أو تجمع أو نحو ذلك. وليس للحكومة المعارضة بأي وجه من الوجوه وفق القوانين المتبعة في أوربا من حرية الفرد. إلا أن الضغط كل الضغط هو من الإعلام المضاد والتحلل الأخلاقي وانشغال الناس بالهموم العامة من الترف والعمل ـ الذي هو الآخر عامل رئيس في ترك كثير من الالتزامات الدينية ـ ولنضرب مثالاً على ذلك ما رأيناه من امرأة شابة موظفة في الهيئة الإدارية في مطار قرص وبمجرد أن رأتنا ونحن في زينا الديني أقبلت علينا وطلبت منا الدعاء لها، وقالت: لا تلوموني فإني ملتزمة دينياً إلا أني تركت الحجاب للوظيفة، وسألتنا بعد ذلك هل أن ذلك مبرر لنزع الحجاب فأجبناها بأجوبة تتناسب مع ظرفنا هناك، وأعطيناها سبحة من التربة الحسينية فأخذتها واعتزت بها ووضعتها على قلبها، وودعتنا وخرجنا متجهين إلى الركوب في الطائرة.

وهنا نلاحظ الصراع الذي يعانيه الفرد الشيعي بين التزاماته الدينية المفروضة عليه ووضعه المعاشي الذي يجره إلى ترك الالتزامات المذكورة.

العلويون في تركيا

أما العلويون في تركيا فأعدادهم كبيرة جداً قد تصل إلى خمسة وعشرين مليون نفر أو ثلاثين مليوناً كما سمعنا ذلك مكرراً منهم ومن غيرهم. مع أن لهم امتدادات واسعة في دول البلقان كما هو معلوم وعند ذلك تصبح أعدادهم أكثر بكثير من هذا الرقم وهو أمر مذهل جداً. كما انهم ينقسمون في تركيا إلى قسمين (العلويون الأتراك) و(العلويون العرب ويسمون بالنصيرية) والذين يرتبطون بسوريا.

وقبل الحديث عن كلا القسمين لابد من تقديم مقدمة تشرح حالهم العقيدي.

معتقد العلويين

قد ظهر من اللقاءات المتكررة لنا معهم ومن زيارتهم السابقة للنجف الأشرف بدعوة من مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية لزيارة العتبات المقدسة في العراق أنهم شيعة اثنا عشرية بشكل واضح ويعددون الأئمة عليهم السلام، بما نعددهم نحن، وقد زاروا الأئمة في العراق كلهم حتى سامراء. والفارق الكبير بين عموم الشيعة وبينهم أنه لا يقيمون الفرائض بحجج غير مفهومة والمظنون قوياً أن إسقاط الفرائض جاء من تضليل رؤوسهم أصحاب الدعوة الأوائل، كما أن أصولهم ـ على ما يبدو ـ من الشاه إسماعيل الصفوي الذي هو معروف بالصوفية الذين سيطر على المناطق التركية إبان حكمه، لذا هم يقدسونه غاية التقديس.

إلى اليمين:
الوفد مع بعض العلماء الشيعة من طلبة النجف الأشرف سابقاً

إلى أعلى اليمين:
الوفد مع الأخوة الشيعة في منطقة طرقطلو

إلى الأعلى:
لقاء الوفد مع البروفسور عز الدين دوغا

كما أنهم يعتقدون بأن مراحل الكمال أربع: الشريعة، والطريقة، والمعرفة، والحقيقة، وكل من هذه المراحل فيها عشر درجات فيكون المجموع أربعين درجة، وعندهم وصايا أخلاقية لبعض مشايخ الطريقة لديهم مثل: أحفظ يدك ولسانك وحزامك أي (فرجك)، ولديهم بعض الوصايا الصوفية في الأخلاق والتسامح والمحبة ونحوها، لذا رأيناهم شعباً مسالمين جداً.

ومما يذكر أنهم تعرضوا في خلافة السلطان سليم إلى إبادة جماعية متكررة وقد حاولوا عصمة أنفسهم من الخطر بانتشارهم في البلاد الواسعة وهجرتهم.

ومن الجدير بالذكر أنهم يحترمون بل يقدسون مصطفى كمال (أتاتورك) غاية التقديس وفي كل مكان من أماكنهم العبادية وغيرها يضعون صورته أو تمثاله ويعتبرونه المخلّص لهم من فتك السلطان سليم، بل يعتبرون مشروعه فصل الدين عن السياسة مشروعاً مقدساً لابد من تطبيقه في كل مكان، كما يقفون موقفاً مضاداً للحكومة الإيرانية الآن، وينتقدون تدخل المراجع في الشأن العراقي ويعتبرونه تدخلاً سياسياً إلا أنه بعد أن أوضحنا ذلك لهم عرفوا مغزى تدخلهم. كما أنهم يلعنون كل من ناوأ أهل البيت عليهم السلام سواء أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة الآخرين عليهم السلام. خصوصاً معاوية بن أبي سفيان لموقفه المعروف ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ويعتبرون حكومته مثالاً للحكومة التعسفية الظالمة.

ويذكر أن لديهم بيوتاً للعبادة ويسمونها (بيت الجمع) وكأنها مقابل المساجد التي

إلى الأعلى:
لقاء الوفد مع رئيس مركز البحوث والدراسات
إلى أعلى اليسار:
الاحتفال الذي أقيم بمناسبة مولد الإمام المهدي عليه السلام في مدينة أغدير
إلى اليسار:
الوفد مع الأخوة العلويين في مسجد الإمام الحسين عليه السلام

عندنا، ويجتمعون فيها كل يوم خميس، ويذكرون فيها ويتوسلون بالأئمة الاثنى عشر عليهم السلام بذكر أسمائهم واحداً واحداً، حتى أنهم يذكرون حديث الأنوار بتفصيله الذي ترويه الشيعة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً قضية هامة، وهي توقف أسيادهم من مخالطة الشيعة الاثني عشرية الملتزمين بالشريعة فقد لاحظنا هاجسهم الشديد من أن الشيعة مثل السنة يحاولون فرض تعاليمهم على الآخرين بالقوة والقهر، وهذه النقطة هي التي تجعلهم يقفون موقف المجانب للشيعة ويطلبون من رعاياهم عدم الاختلاط بهم، وتجنبهم، وعدم حضور مناسباتهم. مع أن ظهور الحق عند الشيعة وألفة النفوس به يجعل من يختلط بهم شيعياً بيسر وسهولة وهذا يفقد مناصب أسيادهم وكبرائهم ولذا تأتي محاولتهم تلك للحفاظ على مناصبهم ومقامهم مع رعيتهم. بحجة أن الشيعة يفرضون تعاليمهم بالقوة.

العلويون الأتراك

أما القسم الأول وهم العلويون الأتراك فقد كان لنا معهم ثلاثة لقاءات علماً أنهم يتمركزون في الوسط وفي الغرب من تركيا. واللقاء الأول كان مع رئيسهم الذي يدعى (البروفسور عز الدين دوغا) وهو يعتبر أكبر شخصية في تركيا في صفوف العلويين بل رئيسهم ويرعى مصالحهم عند الحكومة التركية وقد ذكر لنا في لقائه أنه مشغول بالحصول على حقوق العلويين من الحكومة وأنه قدم أربعة آلاف دعوة قضائية

في ذلك.

وقد لاحظنا عند لقائنا هذا التأثر والإنشداد نحونا مع ما كان عليه من الهدوء والسكينة وكان محور الحديث معه هو التأكيد منا على ربط العلويين بالعتبات المقدسة في العراق ومحاولة تكرار الزيارات لعامة الناس، ثم عرفنا هاجسهم من الشيعة أصحاب الشريعة ـ كما ذكرنا آنفاً ـ فحاولنا طمأنتهم بأن الشيعة ليس لديهم أطماع بتكثير أعدادهم حتى يخاف منهم بل هناك أعداد كبيرة ممن تشيع وليس للشيعة علم بهم وليس همّ الشيعة إلا إبلاغ العقيدة الصحيحة في صفوف المسلمين وبعد حديث مفصل في هذا الاتجاه بدا عليه الارتياح بشكل واضح حتى أنه عند توديعه اختلف حاله مما كان عليه عند استقبالنا من الحفاوة والاعتزاز.

واللقاء الثاني كان مع مجموعة من طبقة العلماء وهم (الددة) وكان لقاءً مفصلاً أيضاً وقد ذكّرناهم بالارتباط بأهل البيت عليهم السلام وإننا نجتمع بهذا الاعتبار وأن اجتماعاتنا بذكرهم إحياءٌ لأمرهم عليهم السلام وكان التأثر بادياً عليهم بشكل واضح حتى رأينا دموع أحدهم في عينيه، ومن الطريف أنه لما حل وقت صلاة الظهر وأردنا الصلاة هيئوا لنا مكاناً للصلاة في بيت الجمع الذي يعد مكاناً لعبادتهم.

واللقاء الثالث: كان مع (بابا منصور)، الشخصية التي تعتبر مقابلاً لشخصية (عز الدين دوغا) ويجتمع عنده ألف من العلويين، إلا أنه لا يضاده وليس مقابلاً له بمعنى مناوئه وعمله ضده، بل كلهم يعمل باتجاه قضية واحدة.

ومن مجموع مشاهداتنا نستطيع أن نقول: أنهم وبسبب عدم الفارق العقيدي بل الالتقاء معهم في معظم الأمور العقيدية ليس لديهم مشكلة إلا قضية العبادات وهو فارق عملي خارجي كبير بينهم وبين الشيعة بل قد نرى من بعضهم التأثر من هذا الفارق والزمن مع بعض العوامل من المخالطة معهم بحسن نية كفيلان بتغيير هذا الحال علماً أن مجموعة منهم خرج من هذا الطوق والتزم بالعبادات بل حتى صار من طلبة العلوم الدينية ودرس في إيران وأصبح من رجال الدين. حتى أن بعضهم فتح مؤسسة باسم (مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام) يطبع فيها الكتب الدينية والأخلاقية وينشرها في صفوف العلويين، ومن الطبيعي أن تأثيره يكون أكثر من تأثير الشيعي لخبرته ومعرفته بالأساليب الصالحة، لمعايشته لهم.

أما القسم الثاني: وهم العلويون العرب والذين يسمون النصيرية فأمرهم مختلف تماماً علماً أنهم يتمركزون في جنوب تركيا في بلاد الأناضول والممتدة إلى سوريا. ولهم امتدادات في سوريا أيضاً كما هو معلوم وبسبب ذلك فهم يتكلمون العربية بنحو جيد وقد يكون ذلك هو السبب في اختلاف حالهم لأنهم ملتزمون بالعبادات ولا فرق بينهم وبيننا أبداً. نعم هناك بعض الفرق التي قد يختلف حالها عنهم وهي منسوبة لهم. كما يقال أن منهم المؤله لأمير المؤمنين عليه السلام، ولم نر ولم نسمع عنهم أي شيء رغم سرعة حركتنا. والذي يدور في خلدي وبسبب ما رأيته أن هناك تشويشاً فكرياً كان له الدور الكبير في إلصاق هذه التهمة بهم ونسبتهم إلى تأليه علي بن أبي طالب عليه السلام، وغيرها من التهم، إضافة إلى ما هم عليه من ارتباك وضعهم الديني، وعدم التبليغ، وتأثير المصالح لدى العاملين، وعدم ارتباطهم بمراكز الشيعة الدينية،

جامع السلطان أحمد أو الجامع الازرق يقع في مدينة اسطنبول في تركيا ويقع بالضبط في ميدان السلطان أحمد. وهو جامع مذهل في عمارته ويعد أحد أهم وأضخم المساجد في تركيا والعالم الإسلامي ويقابل الجامع متحف آيا صوفيا. بني المسجد سنة١٠٢٠هـ/ ١٦١٦م

والمرجعية، وغير ذلك من الأسباب الدخيلة في التشويش والضبابية على كثير من أمورهم وإلصاق التهم بهم. وقد تكون هناك بعض الفرق المنشقة التي لها مثل هذه الاعتقادات الضالة.

ومن الملاحظ أيضاً أن هناك فجوة كبيرة بين علويي تركيا وهذا القسم من العلويين، لأن علويي تركيا لا يعتبرون هؤلاء منهم ويرفضونهم أشد الرفض، كما سمعنا ذلك منهم مكرراً بل هناك بعض العبارات التي يطلقونها عليهم مثل (إنكم سنة لأنكم اتبعتم سنة النبي ﷺ لأنكم تصلون).

كما أن الذي يبدو أن العلويين العرب وهم علويو الأناضول وأعدادهم كبيرة أيضاً والإحصائيات للعلويين في تركيا - التي ذكرناها سابقاً - قد لا تشملهم، بل كنت جالساً مع بعضهم وسألته فكان يقول نحن شيعة لا علويون فقلت له لا فرق بين العلوي والشيعي إذا كان المعتقد واحداً، وتكلمت معه كثيراً فلم يستطع أن يقول أنا علوي، وفهمت أنه علوي بعد ذلك من سياق الأحاديث الطويلة.

ثم إن العلويين العرب وهو العلويون النصيرية أقرب بكثير للشيعة الاثني عشرية ومنفصلون انفصالاً تاماً عن العلويين في تركيا، كما أنهم منفصلون عن الشيعة في اسطنبول حتى أنهم لم يسمعوا بالحسينية الزينبية التي خبرها منتشر في عموم تركيا، وهذا البعد قد يكون ناشئاً من اختلاف عرقهم عن كل من العلويين والشيعة، فالعلويون عرقهم تركي، والشيعة آذري، وهم ينتمون للعرب، كما أن أكبر البلاد التركية وترامي أطرافها هو الآخر سبب في الابتعاد المذكور ■

بسم الله الرحمن الرحيم

س: هل يشترط في التطهير عن بول الصبي أن يكون غذاء الصبي الوحيد هو اللبن (الحليب الطبيعي) وأن لا يأكل الطعام؟ وماذا إذا كان يتغذى على البديل المتعارف استعماله اليوم بدلاً عن حليب الأم؟ وهل يقدح في ذلك تناوله الماء، أو الدواء، أو الطعام، أو الشيء اليسير من الطعام؟ وما حَدُّ الطعام الذي لا يقدح إذا كان كذلك؟

ج: لابُدَّ من التطهير من بول الصبي والصبية على كل حال، غايته أنه لا يجب الغسل فيهما، بل يكفي صب الماء ثم العصر مرة في الصبي ومرتين في الصبية، كل ذلك إذا لم يأكلا، والأحوط وجوباً إلحاق الحليب المصنع بالأكل، نعم لا يلحق به الدواء.

س: هل يحتاج التطهير بالكر إلى العصر أو التعدد إذا كان المتنجس ثوباً أو فراشاً؟

ج: لا يحتاج إلى شيء من ذلك، نعم يجب زوال عين النجاسة، ففي مثل البول يجب خروجه من الثوب والفراش ولو بتوالي الماء عليها.

س: توجد بعض الغسالات الكهربائية الأوتوماتيكية والتي يوصل بها أنبوب الماء المعتصم ويجري الماء على الثياب ثم ينقطع الماء، وتبدأ الغسالة بتفريغ الماء وتدار الثياب داخلها ثم يرجع الماء، وهكذا عدة مرات، فهل تطهر الثياب إذا كانت نجسة؟

ج: نعم تطهر.

س: نرجو من سماحتكم بيان حكم الكتابات والنقوش على تربة الصلاة، ففيها أسماء الله تبارك وتعالى، أو أسماء الأئمة عليهم السلام وهكذا، علماً أن هذه الكتابات أو النقوش هي تراب أيضاً وليس بطريقة أخرى.

ج: تجوز الكتابة المذكورة، ويجوز السجود على التربة الحاوية لتلك الكتابة، نعم يتأكد لزوم احترام التربة من أجل حرمة الأسماء المذكورة.

س: هل تفرقون بين المدن الصغار والكبار في أحكام السفر ذهاباً وإياباً، فمثلاً هل أن امتداد العمران داخل في حساب المسافة، أم ينتهي بمجرد الوصول لمشارف البلد المقصود؟

ج: إذا كان الشخص مقيماً في المدينة الكبيرة في خصوص حَيٍّ منها ـ بحيث يكون عمله وسكنه وزياراته في مناسباته العامة ونحوها مختصة بذلك الحي، ويكون ذهابه لبقية أحيائها استثنائياً ـ كان مبدأ حساب المسافة من حدود ذلك الحي.

وإذا كان موزعاً في حياته على أكثر من حي واحد كان مبدأ الحساب حدود الأحياء التي يتوزع في حياته عليها، وإذا كانت جميع الأحياء عنده سواء يبيت ويعمل فيها كان مبدأ الحساب من حدود المدينة على سِعتها.

س: ما حكم البنت إذا تزوجت؟ فهل تبقى مدينة أهلها وطناً لها أو لا؟

ج: لا تبقى وطناً لها، إلا أن يكون وضعها مبنياً على عدم الإعراض عن مدينة أهلها، والظاهر خروجه عن مفروض الكلام.

س: إذا اتخذ شخص بلداً ما مقراً له لمدة سنتين أو أكثر للعمل أو الدراسة أو المجاورة، هل يكون بحكم الوطن في الصلاة والصوم؟ أم لا؟

ج: نعم يكون بحكم الموطن، كما أوضحناه في رسالتنا (منهاج الصالحين).

س: شخص يعمل في دائرة حكومية، هل يجوز له اشتراط مبلغ من المال لإنجاز معاملة على صاحبها؟ وهل يختلف الحكم إذا كان المبلغ مضراً بصاحب المعاملة بحسب حاله؟ وهل يجوز له أخذ المال دون أن يشترط المكافأة مقابل إنجاز المعاملة، وبدون المكافأة لا ينجزها؟ غير أن تحديد مقدارها تركه لصاحب المعاملة بحسب حاله.

ج: يشكل شرعاً أخذ المال في مقابل إنجاز المعاملة.

س: الإيداع في البنوك المتعاملة بالربا الأهلية والحكومية وغير المسلمة، هل يجوز؟ المعروف أن الفقهاء يعلقون الحكم على اشتراط الزيادة، طبعاً ليس في التعامل مع البنك اشتراط إضافي، بل يتم التعامل على أساس مقررات البنك التي تلزمه بدفع الزيادة للعميل، حتى إن الناس يختارون البنك على أساس دفعه الزيادة الخاصة من دون اشتراط خاص منهم أثناء المعاملة معهم، فهل يجوز ذلك؟

ج: يكفي في اشتراط الزيادة دفع المال للبنك جَرياً على مقتضى قوانينه، وحينئذ يجوز الإيداع المذكور في البنوك غير المسلمة، لعدم حرمة الربا بين المسلم والكافر إذا كان آخذ الزيادة هو المسلم، كما يجوز في البنوك الحكومية إذا كان الإيداع لا بداعي استحقاق الزيادة، لعدم الاعتداد بقصد الحكومة، وحينئذ يجوز أخذ الزيادة لا بعنوان الاستحقاق، بل من باب الاستنقاذ نظير سائر ما يؤخذ من هبات الدولة، حيث يحل بإجراء وظيفة مجهول المالك على المال.

أما إذا كان البنك أهلياً إسلامياً فلا يجوز الإيداع فيه بناء على قوانينه المرعية للزوم الربا المحرم.

ويا حبذا لو تحل البنوك المذكورة المشكلة بالإعلان عن أن من يتجنب شرط الزيادة خوف الربا تكون الزيادة له هبة محضة ابتدائية، وتنفذ وعدها المذكور بدفع المال على نحو الهبة، وإن لم يجب عليها تنفيذه شرعاً.

س: شخص التقط مال مما لا يمكن تعريفه، كالمسكوكات المفردة، أو مال متداول، هل يجوز للملتقط التملك؟

ج: إذا كان أقل قيمةً من سعر ثلاث غرامات من الفضة جاز تملكه، وإلا وجب التعريف به لمدة سنة، وبعد ذلك يجوز له التصدق به ويجوز له تملكه، لكن إذا ظهر المالك بعد ذلك أخبره فإن لم يرض ضمنه، وإذا لم يمكن التعريف بها فإن كانت أقل من سعر ثلاث غرامات من الفضة جاز تملكها، وإن كانت أكثر فالأحوط وجوباً التصدق بها.

س: ما هو حكم اللقطة التي يلتقطها الشخص من بلاد المسلمين أو غيرها؟

ج: اللقطة بحكم أهل المكان الذي توجد فيه، فإن كان أغلب أهل المكان محترمي المال كانت محترمة، ووجب إجراء حكم اللقطة بتفاصيله التي يذكرها الفقهاء، وإن لم يكونوا محترمي المال لم تكن محترمة وجاز تملكها.

س: هل يجوز بيع الدم إذا كان المشتري يستفيد منه؟

ج: نعم يجوز بيعه إذا كانت له فائدة محللة، ومنها التزريق في وريد من يحتاج إليه.

س: هل يجوز رفع الصوت بالصلاة على محمد وآل محمد داخل العتبات المقدسة كما هو المألوف عند كثير من العوام في حرم الإمام الحسين (عليه السلام) وغيره، وهل هو مصداق لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ...) الحجرات/٢؟

ج: يستحب رفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارفعوا أصواتكم بالصلاة علي فإنها تذهب بالنفاق).

وأما الآية الكريمة فإنها واردة لرفع الصوت المنافي للآداب والمبني على الاستهوان به، كما روي عن بعض أهل الجفاء أنهم أتوه فنادوه وهو في حجرته وهم في الخارج أن: اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله فنزلت الآية ردعاً لهم.

ولا تشمل الآية ما إذا كان رفع الصوت تكريماً له أو تمجيداً لله تعالى، أو في مقام أداء الواجب، كما كان يرفع بمحضره الصوت بالأذان صباحاً ومساءً، وكان الشعراء والخطباء يلقون في المحافل بين يديه الشعر في مدحه والخطب، وكانوا يرفعون أصواتهم عند الحرب ونحوها من المناسبات المقتضية لذلك.

فما يُفعل في المشاهد المشرفة من رفع الصوت بالصلاة عليه من أفضل القربات، إلا أن يخاف من ترتب الضرر على القائل أو غيره من المؤمنين، فيحرم لذلك، لا لحرمة رفع الصوت بنفسه ■

لمحات أسلوبية في الأحاديث

عند الإمام محمد الجواد عليه السلام

د. عبد الإله العرداوي ●
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع

يعد الإمام الجواد عليه السلام أصغر الأئمة سناً، فقد تقلد الإمامة والزعامة الدينية بعد وفاة أبيه الإمام الرضا عليه السلام، وكان عمره الشريف فيما أجمع عليه المؤرخون لا يتجاوز السبع سنين، وهذا العمر في مطلق الأحوال لا يسمح لصاحبه بالنظر العقلي والجدال العلمي إلا أن الإمام الجواد عليه السلام قد تجاوز هذه النواميس، وخرق المعتاد من خلال مناظراته العلمية التي أذهلت كبار العلماء في ذلك العصر، فكان الإمام الجواد عليه السلام معجزة السماء في الأرض التي خرقت المعقول، وأبهتت العقول، وجعلت الناس يقفون حيارى أمام هذا الصبي الإمام الذي شكّل خزانة معلوماتية لا تنضب، ومحطة للإجابة عن أسئلة تحير في كشف كنهها أفذاذ العلماء.

ولهذا كله، كان لهذا الإمام عليه السلام الأهمية القصوى في مختلف ميادين البحث في العلوم العقلية وعالم المناظرات والبحوث وغيرها، وكان استشهاد الإمام الجواد عليه السلام مسموماً بالسم وله من العمر (٢٥) سنة.

وفي هذه الأوراق نحاول أن نستظهر

بعضاً من سيرته العلمية الوضاءة من خلال أحاديثه التي يغلب عليها الطابع العلمي وهي موشحة بايحاءات فنية أسلوبية.

الحديث الفني:

ونعني به (الحديث المختصر الذي يقدم في مناسبات مختلفة، ويكتفي فيه أحياناً بعدد قليل من المستمعين، ويوظف فيه سمات فنية، وأدوات جمالية لتعميق دلالة المراد توصيله إلى المتلقي[1] وهو: توصيات عامة قصيرة، ترد مستقلة أو قد ترد ضمن نوع أدبي معين، وتوشح عادة بعنصر الصورة أو بعنصر الإيقاع أو بكليهما معاً[2].

وعليه فالحديث الفني وفق هذا التعريف لا يعتمد المباشرة أو التقريرية في صياغته، لأنه عموماً يتطلب نوعاً من التأمل، فهو يحمل قدراً من الضبابية الشفافة، أو ما يسمى بالغموض الفني في الأدب (الذي يؤدي ما يعرف بتعدد القراءات للنص الواحد فوجوده وجود مؤثر وغني وفاعل)[3] فضلاً عن إشراك المتلقي في كشف دلالة الأحاديث التي تحمل تلك الصفة، يحقق له جسراً من التوصيل، ومزيداً من الأمتاعين الدلالي والجمالي[4].

الأحاديث الفنية: ينظر في تخريجها: المجالس السنية: ٦٢٣/٥ ـ ٦٢٤، وتحف العقول: ٣٣٩ ـ ٣٤٠، وكشف الغمة:

٣/١٣٧-١٤٢، والأنوار البهية: ٢٢١-٢٢٢.

وحياة أولى النهى (الأمام التاسع محمد الجواد عليه السلام): ١٢٠-١٢٧.

١- قال رجل للإمام الجواد عليه السلام أوصني، قال: أوَتقبل، قال: نعم، نعم، قال: توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى، واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون.

٢- وقال الجواد عليه السلام: المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه.

٣- وقال عليه السلام: كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه، ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح.

٤- وقال عليه السلام: من أطاع هواه أعطى عدوه مناه.

٥- وقال عليه السلام: من هجر المداراة قارنه المكروه.

٦- وقال عليه السلام: من لم يعرف الموارد أعيته المصادر.

٧- وقال عليه السلام: من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة.

٨- وقال عليه السلام: راكب الشهوات لا تستقال له عثرة.

٩- وقال عليه السلام: أتئد تصب أو تكد.

١٠- وقال عليه السلام: إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره.

١١- وقال عليه السلام: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

١٢- وقال عليه السلام: عز المؤمن غناه عن الناس.

١٣- وقال عليه السلام: قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه.

١٤- وقال عليه السلام: التحفظ على قدر الخوف.

١٥- وقال عليه السلام: نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر.

١٦- وقال عليه السلام: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأما انقطاعك إليَّ فيعززك بي، ولكن هل عاديت لي عدواً ووالیت لي ولياً.

١٧- وقال عليه السلام: من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده.

١٨- وقال عليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وأن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس.

١٩- وكتب عليه السلام إلى بعض أوليائه: أما هذه الدنيا فإنّا فيها معترفون، ولكن من كان هواه هوى صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان، هي دار القرار.

٢٠- وقال عليه السلام: تأخير التوبة اغترار، وطول التسويق حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله.

٢١- وقال عليه السلام: أربع خصال يقين المرء على العمل: الصحة والغنى والعلم والتوفيق.

٢٢- وقال عليه السلام: إن لله عباداً يخصهم بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها إلى غيرهم.

٢٣- وقال عليه السلام: ما عظمت نعمة الله على عبد إلاّ عظمت عليه مؤنة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض النعمة للزوال.

٢٤ـ وقال عليه السلام: أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبنّ شكر ما صنع إلى نفسه من غيره.

٢٥ـ وقال عليه السلام: من أمل إنساناً فقد هابه، ومن جهل شيئاً فقد عابه، والفرصة خلسة، ومن كثر همه سقم جسده، والمؤمن لا يشفى غيظه، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه.

٢٦ـ وقال عليه السلام: من استغنى بالله أفتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس وأن كرهوا.

٢٧ـ وقال عليه السلام: عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأنس في الغربة.

٢٨ـ وقال عليه السلام: العلم علمان، مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع، ومن عرف الحكمة لم يصبر على الازدياد منها، الجمال في اللسان، والكمال في العقل.

٢٩ـ وقال عليه السلام: لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

٣٠ـ وقال عليه السلام: يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم.

٣١ـ وقال عليه السلام: أقصد العلماء للمحجة الممسك عند الشبهة، والجدل يورث الرياء، ومن أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل، والطامع في وثاق الذل، ومن أحب البقاء فليعد للبلاء قلباً صبوراً.

٣٢ـ وقال عليه السلام: العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم.

٣٣ـ وقال عليه السلام: الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها.

٣٤ـ وقال عليه السلام: لو سكت الجاهل ما اختلف الناس.

٣٥ـ وقال عليه السلام: مفتل الرجل بين لحييه: والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير.

٣٦ـ وقال عليه السلام: فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال، فكل يعمل على شاكلته.

٣٧ـ وقال عليه السلام: من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه.

٣٨ـ وقال عليه السلام: كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك.

٣٩ـ وقال عليه السلام: الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد حق السؤدد لمن اتقى الله ربه والكريم كل الكريم من أكرم عن ذل النار وجهه.

٤٠ـ وقال عليه السلام: من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان.

٤١ـ وقال عليه السلام: اثنان عليلان أبداً: صحيح محتم، وعليل مخلط، موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر.

٤٢ـ وقال عليه السلام: لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبهم، وارحموا ضعفائكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم.

٤٣ـ وقال عليه السلام: بالثقة بالله تعالى ثمن لكل غالٍ، وسلم إلى كل عالٍ.

٤٤ـ وقال عليه السلام: لا تكن ولّي الله في العلانية عدوّاً له في السر.

٤٥ـ وقال عليه السلام: أصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر عما تحب فيما يدعوك إلى الهوى.

٤٦ـ وروي: أنه حمل له عليه السلام حمل بزّ له قيمة كثيرة، فسلّ في الطريق، فكتب إليه الذي حمله يعرّفه الخبر، فوقع عليه السلام بخطه: أن أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، يمتّع بما تمتع منها في سرور وغبطة، ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة، فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره، ونعوذ بالله من ذلك.

التحليل

تلحظ اللمحات الأسلوبية في الأحاديث الفنية من خلال مجموعة من الأساليب، هي:

الاستفهام:

وتلحظ وروده في الأحاديث الفنية كما في قوله عليه السلام: (...واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون؟)[٥] فالاستفهام الوارد هنا مكتفٍ بنفسه لا يحتاج إلى أي جواب، لأنه يقرر حقيقة، ويحمل المخاطب على تمثلها، وبمعنى آخر: أن جواب السؤال ثابت الخزينة المعرفية للطرفين، ومن ثم فلا حاجة للإفهام فيه، وليس فيه أية محاولة لسد النقص المعرفي الذي يسعى الاستفهام إليه في حقيقته. وفي موضع آخر يطلب الفهم من الاستفهام وهو حقيقته التي يسعى إليها، فيكون الجواب إبانة للحقائق، وفيها يكون الاستفهام حقيقياً يقتضي فيه قطعية الإجابة وتصديقها بـ(نعم) أو (لا)، يقول الجواد عليه السلام: (... ولكن هل عاديت لي عدوّاً ووالیت لي ولياً)[٦].

وقد يخرج الاستفهام حاملاً أغراضاً مجازية كالتعجب في قوله عليه السلام: (كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه)[٧] فالاستفهام الوارد في هذا الخطاب أفاد معنى التعجب الذي يعني (تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلاّ من شيء خارج عن نظائره وأشكاله)[٨] ومن ثم نرى الإمام الجواد عليه السلام يستعظم هذا الأمر ويعلي من شأنه.

الأمر:

من الأساليب التي استعملها الإمام الجواد عليه السلام في أحاديثه الفنية، وقد خرجت أوامره إلى معانٍ مجازية، كما في قوله عليه السلام: (اتئد تصب أو تكد)[٩] فأسلوب الأمر ورد بصيغة فعل الأمر (اتئد) وهو يحمل دلالة مجازية هي النصح والإرشاد، ونظيره قوله عليه السلام: (توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى)[١٠] فالأوامر (توسد، اعتنق، ارفض،

خالـف) قد خرجت بأسـلوب الأمر إلى دلالة مجازية هي النصح والإرشاد، وفيه نماذج أخرى كثيرة.

وقد ورد أسـلوب الأمر بصيغة اسم فعل الأمر (عليكم) أي ألزموا، وذلك في قولـه عليه السلام: (عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضـة)[11] أي ألزمـوا أنفسـكم بطلب العلم.

الشـرط:

مـن الأسـاليب التـي استعملها الإمام الجواد عليه السلام لـدواع دلالية جمالية، ومن الأدوات التـي اسـتعملها (من) التي شـكّلت مرجعية العاقل فـي مواجهة تحدي الواقـع في صور رسـمها الإمام الجواد عليه السلام من خلال تعانق صورة فعل الشـرط وصـورة جوابـه، كما في قولـه عليه السلام: (مـن انقطع إلى غيـر الله وكلّـه الله إليـه، ومن عمـل على غيـر علم أفسـد أكثر ممـا يصلح)[12] ونظيره قوله عليه السلام: (من هجر المـداراة قارنه المكروه)[13] ومنه نماذج أخرى كثيرة.

ومن أدوات الشرط (لو) التي يبدو فعل الشرط فيها وجوابـه غير ممتنع الوقوع متحقـق فـي الواقـع قولاً وفعلاً[14] وذلك في قوله عليه السلام: (لو سكت الجاهل ما اختلف الناس)[15].

ومنهـا (إذا) واحسـبها تعليق صورة جواب الشرط ـ إن صحّ لنا أن نفضـل صورة الشـرط الكاملة ـ على صورة فعل الشـرط، وذلك لأن الشرط ممكـن الوقوع[16] كما فـي قوله عليه السلام: (إن لله عباداً يخصهـم بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوهـا، فإذا امنعوهـا نزعها عنهم وحوّلها إلى غيرهم)[17].

ومنهـا (مهمـا) التي تميـزت صورة الشـرط فيهـا ببيـان لحقيقـة أخلاقية راسخة في الأذهان، وذلك في قوله عليه السلام:

(فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه)[١٨].

ومنها (أما) التي تفيد التفصيل في الصورة وإيضاح أركانها المختلفة، كما في قوله عليه السلام: (أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأمّا انقطاعك إليّ فيعززك بي)[١٩].

النهي:

وقد ورد في قوله عليه السلام: (فلا يطلبنّ شكر ما صنع إلى نفسه من غيره)[٢٠] فالنهي هنا ورد بصيغته الحقيقية ولم يخرج إلى دلالة مجازية، لكنه يشعر بالإلزام في النهي وتوكيده من خلال اتصال الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة، ونظيره قوله عليه السلام: (ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبهم)[٢١].

النفي:

وفيه يتوسل بأدواته المتعددة لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، ومنها (لا) التي تفيد نفي الحاضر والمستقبل نفياً عاماً، كما في قوله عليه السلام: (راكب الشهوات لا تستقال له عثرة)[٢٢] وقوله عليه السلام: (نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر)[٢٣] ونظيرها شواهد أخرى كثيرة.

ومن أدوات النفي (ما) كما في قوله عليه السلام: (لو سكت الجاهل ما اختلف الناس)[٢٤] ومنها (لن) التي تشعر بإلزام النفي وتوكيده بما يفيد التأبيد مطلقاً، كما في قوله عليه السلام: (لن يستكمل العبد حقيقة الأيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)[٢٥] وقوله عليه السلام: (واعلم أنك لن تخلو من عين)[٢٦].

ومنها (لم) التي تفيد توكيد النفي، كما في قوله عليه السلام: (من لم يعرف الموارد أعيته المصادر)[٢٧] وقوله عليه السلام: (ومن عرف الحكمة لم يصر على الازدياد منها)[٢٨] ومنها (غير) كما في قوله عليه السلام: (ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح)[٢٩].

التوكيد:

أسلوب من الأساليب التي لجأ إليها الإمام الجواد عليه السلام في أحاديثه الفنية لإيضاح مضامينه الدلالية، فضلاً عن زيادة حدة الخطاب التوصيلي، ويستعمل الإمام الجواد عليه السلام التوكيد بطرائقه المتعددة التي منها: التوكيد بـ(إنّ) مع اسمها وخبرها والتي تفيد توكيد مضمون الجملة وتحقيقه[٣٠]، كما في قوله عليه السلام: (إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره)[٣١].

وقوله عليه السلام: (عليكم بطلب العلم، فان طلبه فريضة)[٣٢] ومنه نماذج أخرى كثيرة. ومنها (أنّ) مع أسمها وخبرها والتي تفيد أيضاً توكيد مضمون الجملة وتحقيقه[٣٣] كما في قوله عليه السلام: (وأعلم أنك لن تخلو من عين الله)[٣٤].

ومنها التوكيد بأسلوب يفيد (النفي وإلاّ) وذلك في قوله عليه السلام: (ما عظمت نعمة الله على عبد إلاّ عظمت عليه مؤنة الناس)[٣٥].

ومنها التوكيد بـ(لكن) التي تفيد توكيد مضمون الجملة، كما في قوله عليه السلام: (أما هذه الدنيا فإنا فيها معترفون، ولكن من كان هواه هوى صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان، هي دار القرار)[٣٦] وقوله عليه السلام: (ولكن هل عاديت لي عدّوا ووالیت لي ولیاً)[٣٧].

ومنها التوكيد (قد) التي تفيد التحقيق مع الفعل الماضي، كقوله عليه السلام: (قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه)[٣٨] وقوله عليه السلام: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده)[٣٩].

ومنها التوكيد بـ(لم) التي تفيد توكيد النفي، كما في قوله عليه السلام: (فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرّض نفسه للزوال)[٤٠] ونظيرها شواهد أخرى كثيرة ■

---

(١) أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٤.
(٢) ينظر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٢٢.
(٣) الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي: ٧٤.
(٤) ينظر: أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣-٦٤.
(٥) ، (٦) ، (٧) الحديث:١، ١٦، ٣.
(٨) جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية:١٣٠.
(٩) ، (١٠) ، (١١) الحديث:٩، ١، ٢٧.
(١٢) ، (١٣) الحديث:٣، ٥.
(١٤) ينظر مفني البيبي: ٢٥٦/١.
(١٥) الحديث:٣٤.
(١٦) ينظر جواهر البلاغة:١٦٣.
(١٧) ، (١٨) ، (١٩) الحديث:٢٢، ٢٤، ١٦.
(٢٠) ، (٢١) ، (٢٢) الحديث:٢٤، ٤٢، ٨.
(٢٣) ، (٢٤) ، (٢٥) الحديث:١٥، ٣٤، ٢٩.
(٢٦) ، (٢٧) ، (٢٨) الحديث:١، ٦، ٢٨.
(٢٩) الحديث:٣.
(٣٠) ينظر شرح المفصل: ٥٩/٨.
(٣١) ، (٣٢) الحديث:١٠، ٢٧.
(٣٣) ينظر: شرح المفصل:٥٩/٨.
(٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦) الحديث:١، ٣٢، ١٩.
(٣٧) ، (٣٨)، (٣٩) الحديث:١٦، ١٣، ١٨.
(٤٠) الحديث:٢٣.

من كلام للإمام الجواد عليه السلام في التوحيد

عن أيوب قال: قال فتح بن يزيد الجرجاني:

«ضمني وأبا الحسن عليه السلام الطريق منصرفي من مكة إلى خراسان، وهو صائر إلى العراق فسمعته وهو يقول: من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع. قال: فتلطفت في الوصول إليه فسلمت عليه فرد عليّ السلام وأمرني بالجلوس وأول ما ابتدأني به أن قال: يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فأيقن أن يحل به الخالق سخط المخلوق، وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به.

جلّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، و قرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيّف الكيف فلا يقال كيف؟، وأيّن الأين فلا يقال أين؟، إذ هو منقطع الكيفيّة والأينيّة. هو الواحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فجلّ جلاله».

بحار الأنوار ٥٠/ ١٧٨

قصيدة:

تحية إلى الإمام الباقر عليه السلام *

أ. د. محمد حسين الصغير •

أقـــام لـــك الـــديـــن أركـــانَـــهـــا ... فـــشـــيّـــدت بـــالـــعـــلـــم بـــنـــيـــانَـــهـــا
ونـــــوّرت بـــالـــمـــثـــل الـــســـائـــرات ... عـــقـــولَ الـــرجـــالِ وأذهـــانَـــهـــا
وقـــوّمـــت بالحجج الـــدامـــغـــات ... نـــفـــوســـاً... وثـــبـــت أيـــمـــانَـــهـــا
وحـــــرّرت مـــن شبهاتِ الضلال ... أســـــارى الـــنـــفـــوس وســـجـــانَـــهـــا
لـــك الـــلـــه مـــن عـــالـــمٍ عـــامـــلٍ ... حـــمـــى الـــشـــريـــعـــة قـــرآنَـــهـــا
وصـــــان مـــن الـــزيـــفِ أحكامَها ... ورســـــخ بـــالـــصـــبـــر فـــرقـــانَـــهـــا
فأعيى ـ بما خـــطّ ـ أحبارها ... وهـــــز ـ بـــمـــا جـــاء ـ رهـــبـــانَـــهـــا
وبـــصّـــر بـــالـــرُشـــدِ إنـــســـانـــهـــا ... وكـــحـــل بـــالـــنـــور أجـــفـــانَـــهـــا
وأمـــــجـــــادُهُ وفـــيـــوضـــاتُـــه ... أبـــى الـــدهـــر والـــحـــق نكرانَها

* منتقاة من كتاب (الإمام محمد الباقر عليه السلام مجدد الحضارة الإسلامية) للشاعر.

أقـــام مـــن الأرض عـمّـارهـا ... وأهـــل الـسـمـاء وسـكـانَـهـا
ولـيـس عـجـيـبـاً بـــأن يستطيل ... فتى المصطفى الطهر فتيانَها
فقد كـــان فـي قـــادة المسلمين ... وريـــد الـحـيـاة وشـريـانَـهـا
أمـــام الـهـدى، وسـلـيـل النبي ... ورمـــز الـهـداة وعـنـوانَـهـا
ويـا نفحة مـن ريـاض الجنان ... أفـاضـت على الـكـون ريحانَها
ويـادوحـة الـمـجـد مـن هاشم ... تـدلـت لـتـنـشـر أغـصـانَـهـا
ويـانـبـعـة الـعـز مـن حـيـدر ... أبـى الـلـه والـديـن إيـهـانَـهـا
تـعـاليـت مـن صـامـد لـم يـزل ... صـلـيـبـاً يـزلـزل طـغـيـانَـهـا

ومـن مـفـزع لـجـيـوش الـضـلال (وقـد صكت الـحـرب أسنانَها)
وقـفـت مـن الـظـلـم فـي فيلق بـه الـعـلـم يـهـزم شجعانَها
فطوحت مـن ركـبـه... سالكاً طـريـق (الـنـبـي) وشـطـآنَـهـا
ومـا قـصـرت بـك كـف الـدفـاع ولـكـن تـحـاشـيـت خـذلانَـهـا
وجـاهـدت فـي الله ـ لا ثنتني ـ جـيـوب الـطـغـاة وأعـوانَـهـا
سـلاحـك كـسـر أصـنـامـهـا وعـلـمـك قـوّض أوثـانَـهـا
فـخـلـدت ذكـرك إعـصـارهـا وأبـقـيـت ظـلـك أزمـانَـهـا
وقـدمـت لـلـنـاس مـعـروفـهـا وشـرعـت للخلق إحـسـانَـهـا
وعـوّذت بـالـلـه آثـارهـا وصِـنـت مـن الـزيـغ أديـانَـهـا
بـعـثـت مـن الـمـوت أفـكـارهـا وأحـيـيـت بـالـوعـي وجـدانَـهـا

* * * * *

وقـفـتُ على قبره فـي (البقيع) فـهـيّـج فـي الـنـفـس أشـجـانَـهـا
وصـعّـد فـي الـقـلـب آلامـه وفـجّـر فـي الـروح أحـزانَـهـا
تعفى ضريحك يـا ابـن النبي وجـالـت بـه الـريـح ميـدانَـهـا
وكـان يـطـاول فـي زهـوه نـجـوم الـسـمـاء وكـيـوانَـهـا
وقـد عـاد قـفـراً بـأحـقـادهـا فـجـددت الـعـهـد مـروانَـهـا
وأغـضـبـت الـلـه فـي فعلها (وأرضـت بـذلـك شيطانَها)
وقـد حـقـقـت فـيـك أوغـارهـا وقـد صـدقـت مـنـك إضغانَها
ومـجـدك لا الـقـبـر عـنـوانـه وسـيـرُكَ قـوّم أوزانَـهـا
تـيـقّـنـت أنّـك مـن جـوهـرٍ يـقـيـم عـلـى الـضـيـم بـرهـانَـهـا

تضمُّ (الصحاح) رواياته ... وتفرض بالعلم سلطانَها
تعيد بلاغتها قسّها ... وتحيي الفصاحة (سحبانَها)
فهب أنهم هدّموا قبره ... فهل هدموا منك عرفانَها
فذكرك مازال عملاقها ... وصوتك مازال رنّانَها
فبئت من الله في ربحها ... وباؤنا من الله خسرانَها

* * * * *

ويا (باقر العلم) يا من به ... ننال من الله غفرانَها
ذنوباً مع الدهر أنّى تعد ... وهل عدّت البيد عسلانَها
نحُوز من الله رضوانه ... ومن جنّة الخلد رضوانَها
ونأمن والدّرب وعر السرى ... بيوم القيامة نيرانَها
لأنك فينا سفين النجاة ... وقد عاد حبّك ربانَها
فهبني ليوم به ترتجى ... (رجال) ستنشر سلطانَها
وقد عرفوا عند أعرافها ... سمات الرجال وميزانَها
به الملك لله سبحانه ... وقد صفّت النار خزّانَها
وكل تشاغل في شأنه ... وأسلم للروح أبدانَها
هنالك... ستبصر أنّى تكون ... تنال الشفاعة ركبانَها
وتنظر والنّاس في سكرة ... لطيف السماء ورحمانَها

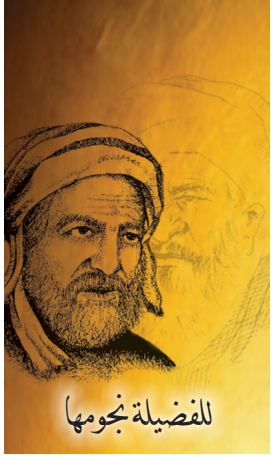

من أعلام كربلاء..

الحاج عبد المهدي آل حافظ المتوفى سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

هذا شاعر خصب ومتنوع، من الشعراء الكربلائيين الذين تألقوا في حياتنا، ووهبونا فيضاً من السحر والجمال، حتى كان لهم موقع أساسي ومتميز في النهضة الأدبية، التي رفع لواءها في كربلاء مجموعة من أبناء ذلك الجيل أبرزهم: السيد عبد الوهاب آل الوهاب والشيخ كاظم الهر والسيد جواد الهندي والحاج عبد المهدي آل الحافظ والشيخ محمد حسن أبو المحاسن، فكان لهم دور كبير في دفع زخم الحركة الأدبية وتعميق أواصر المحبة، وبالتأكيد أن الرصيد الذي يحمل توقيع هؤلاء أقل مايقال فيه أنه يشكل مرحلة بارزة من مراحل النهضة الأدبية العربية والتنوير الثقافي في مطلع القرن العشرين، وإحاطه تامة باللغة العربية من جميع جوانبها.

فالحاج عبد المهدي من ألمع شخصيات الأدب والسياسة على حد سواء. كان حجة في البحث، مجدداً في الرأي، عميقاً في الفكر، لا تأخذه في الله لومة لائم.

هو الحاج عبد المهدي بن صالح بن حبيب بن حافظ، أبصر النور في مدينة

كربلاء، حاضرة الشعر وعاصمة الأدب، ولم نعثر على تاريخ ولادته، فتكحلت عيناه ببريق الإمام الحسين عليه السلام، ونشأ في أسرة عربية تعرف بآل (حافظ) التي تنتسب الى قبيلة (خفاجة)، وقد هاجر جدها الأعلى ـ حافظ ـ من الشطرة واستوطن مدينة كربلاء في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وأقام في مكان يعرف بـ (بركة الحافظ) في محلة آل فائز التي عرفت فيما بعد بمحلة باب السلالمة وباب بغداد والقسم الشرقي من باب الطاق، وتقع اليوم هذه البركة ضمن محلة باب بغداد، وقد بزغ من هذه الأسرة في الأدب والتجارة رجال عديدون أخص بالذكر منهم الشاعر الفذ المرحوم الحاج عبد المهدي ال حافظ وعبد العزيز ال حافظ وزير الأقتصاد الأسبق.

نشأ شاعر ربيب نعمة غضة، مشتغلاً بطلب العلم وكتب الأدب، وقد بقي في صباه يلتهم الكتب التهاماً أينما وجدها، واستهواه الشعر وانصرف إلى قوله، ولم يعد يحفل إلا بالكتب التي تعاونه بصورة مباشرة على إبداعه الشعري.

ذكره المحامي عباس العزاوي فقال: توفي في ربيع الآخر سنة ١٣٣٤هـ، وكان مبعوث كربلاء الأسبق ذكياً، تعلم اللسان الأفرنسي جيداً، فأحسن القراءة والكتابة فيه، وكان ذا سلطة وجرأة وفي مقدمة القيام على مأموري الحكومة في كربلاء وإخراجهم منها بعد نهب أموالهم وإهانتهم حتى أعدوا اليها بمظاهرة الولاية وسكنت الفتنة أثناء الحرب العامة[1].

درس شاعرنا في معاهد كربلاء المعروفة ـ آنذاك ـ ولما علا قدره وقوي عوده، تتلمذ في العروض على أحد فطاحل عصره هو الشاعر الشيخ كاظم الهر المتوفى سنة ١٣٣٣هـ، وأخذ المقدمات على أعلام مبرزين، وكان من بين الداعين الى الأخذ بالعلوم الدينية، فشب شاعراً متوقد الذهن، بليغ البيان، واسع الأطلاع، فقد حفظ الكثير من عيون الشعر العربي، وغرف من مناهل العلم والمعرفة، فكان أهلاً لها، وألمَّ بلغات متعددة في مضمار الأدب، فكان الخطيب المفوه الذلق اللسان المحلّق في سماء الشعر، الفارس المقدام في مضمار الأدب. وكان مجلسه الشريف وناديه المنيف المطل على الصحن الحسيني محط أنظار رجالات البلد وعباقرة الأدب والفكر والسياسة في ذلك الوقت، يضم النخبة الصالحة من ابناء كربلاء الذين يتداولون الحديث بالشؤون السياسية وأخبار السياسة والأجتماع وقضايا الساعة. انتخب رئيساً لبلدية كربلاء سنة ١٣٢٣-١٣٢٤هـ، كما انتخب مبعوثاً لكربلاء في اسطنبول، وذلك أبان العهد العثماني الغاشم، حيث حاز على أصوات كثيرة نتيجة

الأنتخابات العامة في العراق فرشح من كربلاء[٢].

فضلاً عن ذلك فهو صاحب موارد هائلة وثروة طائلة. ذكره السيد محسن الأمين في موسوعته (أعيان الشيعة) فقال ما هذا نصه: (عبد المهدي بن صالح بن حبيب بن حافظ الحائري توفي في كربلاء سنة ١٣٣٤هـ ودفن بها، كان أديبا من أعيان تجار كربلاء وملاكيهم بعرف التركية والفارسية والأفرنسية وانتخب مبعوثاً في زمن الدولة التركية[٣] وأورد له القصيدة الدالية).

وذكره الشيخ محمد السماوي في (الطليعة) قائلاً: (كان أديباً من أعيان تجار كربلاء وملاكيهم، ذا همة سامية إلى المعارف تعلم الألسنة المحتاج إليها في العراق من الفارسية والتركية والأفرنسية ثم انتخب مبعوثاً إلى دار السلطنة العثمانية فعاد ومرض فتوفي وكان كما رأيته طلق اللسان، بديع البيان، ينظم الشعر في الطبقة الوسطى فمنذ قوله في مدح امير المؤمنين[٤].

كما ورد ذكره في كتاب (أدب الطف) حيث قال: درس شاعرنا في معاهد كربلاء العلمية وتتلمذ في العروض على الشاعر الشيخ كاظم الهر وساعده ذكاؤه وفطنته فحفظ عيون الشعر[٥].

وجاء في كتاب (أعلام الأدب في العراق الحديث) ما هذ نصه: انتخب رئيساً لبلدية كربلاء ثم ناب عنها في مجلس النواب العثماني من كانون الأول ١٩٠٨م إلى كانون الثاني ١٩١٢م وتوفي بكربلاء في شباط ١٩١٦م

وقال أيضاً: حدثني أحمد حامد الصراف أن الحاج عبد المهدي توفي كهلاً وكان ينظم الشعر الرائق باللغة الفارسية[٦].

وأورد مير بصري قولاً آخر ضمن ترجمة السيد محمد مهدي بحر العلوم الكربلائي حيث قال: (ولما تمرد أهالي كربلاء على الحكومة التركية في أثناء الحرب العظمى في سنة ١٩١٥م قام هو وعبد المهدي الحافظ بالوساطة بين الثوار والمتصرف حمزة بك واعادة السكينة الى البلد)[٧].

وفي الوقت نفسه ينبغي أن لا يتجاهل القارئ أنّ الحاج عبد المهدي الحافظ كان أحد الذين أضافوا أشخاصاً الى عالمنا لهم كيانهم ووجههم الخاص، فإذا نظرنا الى شاعرنا ببعض التعمق، لم نجده فقط يقظاً ومتمتعاً بصفاء في الذهن رائع متسلحاً بالذكاء واللباقة، بل هو فوق ذلك شديد الانتباه إلى وضعه الخاص.

وأن الوثائق التي يمتلكها ذووه تبرز ما تتمتع به شخصيته من حيوية وصلابة وملامح ذاتية يتجلى فيها الشموخ والكرامة.

كل ما في الأمر يجعلنا نتوقف كثيراً عندما نتحدث عن علاقة الأدب بالسياسة.

صفوة القول فإن من عرف عبد المهدي آل حافظ في ذلك الحين يصفه لنا بأنه حركة في كل اتجاه من الرئاسة إلى السياسة إلى نظم الشعر إلى مجلسي يستقبل الوافدين في ديوانه، إلى خطيب تتقاطر الكلمات من لسانه داعية إلى التآلف والوحدة بين المسلمين ونبذ كل ما من شأنه أن يفرق صفوفهم، إلى تاجر وملاك، ورئيس بلدية، ونائب في مجلس المبعوثان.

مجلس أدبي في كربلاء

كانت تربط شاعرنا الحافظ صلات ودية ومراسلات كثيرة مع عدد من شعراء العراق، راسلهم وراسلوه، ومن بين تلك النفحات الزكية انعقد مجلس أنس من الفضلاء والأدباء في كربلاء، فكتب الشاعر الكربلائي الشيخ محمد حسن أبو المحاسن إلى الشاعر الحاج عبد المهدي آل حافظ يستدعي حضوره:

من مبلغ عني أبا صالح
قول محب صادق الود
ما بال مشتاق إلى وصله
معذب بالهجر والصد
لا يهتدي الأنس إلى مجلس
تغيب عنه طلعة المهدي
ونحن كالعقد انتظمنا فهل
يزينه واسطة العقد[٨]

وقال أيضاً:

ألا من لقبٍ لايبل غليله
وناظر عين لاتجف دموعه
خليليَّ هل لاتسعدان متيماً
يرى كل يوم في النوى ما يروعه
نأت دار أحبابي وشط مزارها
فبات عن الجفن القريح هجوعه
فحاولت صبراً كان في الخطب جنتي
فقالت لي الأيام لا تستطيعه
فهل ما مضى من عيشنا بطوّيع
برغم الليالي مستطاع رجوعه[٩]

مراسلاته

تبادل شاعرنا الحاج عبد المهدي آل حافظ الرسائل بين حين وآخر مع معاصريه من أعلام وأصدقاء، وأشير هنا الى أن رسائل الحافظ يجب أن تحفظ وتوثق، لأنها نوع جميل من أدب الرسائل في الأدب العربي، وفي هذه الرسائل نستطيع أن ندرس الكاتب أكثر من دراسته في مؤلفاته. ولعل من بين هذه الرسائل رسالة الشاعر الفذ الشيخ جواد الشبيبي الذي راسله من النجف الأشرف بقوله:

وكتب عن لسان بعض أعيان النجف إلى رئيس بلد الطف المهدي من آل حافظ سنن المعروف التي لايحيط بها الوصف، سلام على الطف وساكنيه من الزهر الممطور، وثناء على رئيس بلده المبهر في حالتي المسموع منه والمنظور، ذي النادي المنظوم الأسلاك بذوي المنظوم والمنثور، والظل الممدود على أهل الكمال ثمة وعليه منهم رداء الحسد مقصور والبيت المعمور المغمور بنائل مشيده مسترفده حتى لو كان البحر المسجور والنفس القوية العفة التي تطمح كل عين لها والمعرفة التي أكسبته غراماً بالعليا وولها، والرزانة التي لم يوازنها الطود الأشم والعجب من طبعه وهو أخف من النسم كيف حملها، والراحة السافحة بدل الغيث ولو سفح الغيث التبر ما عددناه به بدلها، والفصاحة التي لو سحب ذيلها سحبان وائل لرأت القبائل أن بيوت وائل قبلها، لا أراني الله من مهدي ساعة غيبة صغرى، إذا وفقني الطالع على حجة نباهته الكبرى أخ لما ارتحلت عنه بالجسم وأودعته القلب، وتيقنت محبته قلت ما جزاء من يحب إلا أن يحب، فأخذت اذا ضمني وكمل أهل وطني محفل أرفع صوتي بمحامده، وأطنب بذكره الجميل لأفتح قلب مواليه وأكسر طرف حاسده، فالمأمول من أخلاقه وعلمه بولع مشتاقة اتصال المراسلة وهي ممكنة فلا يجوز

ينجــو الحب العدول عنهــا الى الأنفصال وأعمــال أفعال محبتــه القلبيــة الخالصة وبيــن أثرها بالرســائل فتطابــق الأقوال والأفعال [١٠].

وإليك طرفاً آخر من رســالة بعثها إلى جريدة الرقيب بتاريخ ٢٦ شــعبان ســنة ١٣٢٧هـــ معبراً عن شــكواه مــن الوضع الفاسد آنذاك فكتب يقول:

إن بيان مــا صادفه المجلس الملي من غرائب الأموال وتشــريع مــا جرى علينا مــن الرزايا والأهوال أمــر واضح لاريب فيه وأن تكــراره وجد ضيق الصدور، فما الأولــى صرف عنان القلم عن ذلك وإبداء البيــان ما يلــزم بيانه. لا يخفــى على من نظــر بعين الأنصاف وترك ســلوك طرق المغادرة والخــلاف. إن مجلس المبعوثين في هذه السنة لم يستحق أن يسمى مجلساً مليــاً مالكاً لحرية القول والعمل إلا بعد أن يتنزه العرش الملوكي من لوث وجود من كان لا هــم له إلا ســلب مرتبنا واضطهاد حقوقنا الطيبة ولا قصد له ســوى ترجيح منافعه على المنافع العثمانية[١١].

شعـــره

إن نظــرة عامة إلى كل الأبــداع الذي حمل توقيع الحاج عبد المهدي آل حافظ كان يســمح لكثير من النقاد أن يلاحظوا قصيدة (غديرية) التي حازت شهرة واسعة وأن يقفــوا وقفة تأمــل وتفكيرعميقين، وقد مكنته ثقافتــه المتنوعة من أن يروي ويوصــف ويحلل هذه القصيدة بأســلوب ســهل ينفــذ إلــى الوجدان، وقــد أجمع القراء على أنها أكثر شــفافية ورقة وخفة ظل، قال عنها الأستاذ موسى الكرباسي:

الخط الأمامي من اليمين: سلمان الحاج حمد آل عويد، الشيخ محمد رضا آل كمونة، السيد حسين الدده، الحاج عبد المهدي آل حافظ، جاويد باشا، ثريا بك، الشيخ محمد علي آل كمونة، الشيخ هادي آل كمونة، الحاج مصطفى أسد خان

تعبير ينم عن حسن في التصوير ولطافة في الأسلوب[١٢] هذه الرقة في الشعور وهذه السلاسة وهذه الروح المفعمة تشهد بسمو عاطفته الأنسانية التي تزخر بالحب، فشعره أقرب للتناول، سهل الأفكار، وأشد التحاماً بالموسيقى يستثير كوامن النفس. وقد استطاع الشاعر خلال أبياتها الأربعين أن يترك في القارئ إحساساً بمعاناته، لذا فقد ذاع صداها وأخذت تتناقلها الألسن، ولفتت انتباه أهل الأدب، والقصيدة هذه قالها في مدح الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسارت مسرى الأمثال، وقد افتتحها بالغزل، فما أجمل قوله:

هي صعدة سمراء ام قد
هي وردة حمراء أم خد
وافى بهنّ غزيّل
غنج خفيف الطبع أغيد
متقلد من لحظة
سيفاً يفوق على المنهد
كالبدر الا أنه
أبهى وأسنى بل وأسعد
شفتاه قالت للعذار
فما العقيق وما الزبرجد
وأفتر مبسمه فلاح
خلاله الدر المنضد
صنم تجمعت المحاسن
فيه فهو اليوم مفرد
فضح الضباء بأتلع
من جيده والغصن والجد
ما مرّ الا والجمال
يصيح: صلوا على محمد
عاتبته يوماً وقلت:
إلى متى التعذيب والصد؟
أيحل قتل متيم
غادرته قلقاً مسهّد؟
أضنى هواك له السقام
منه صفو العيش نكّد
فأجاب هل لك شاهد
في ذاك قلت الحال يشهد؟
فأزورّ من قولي وأعرض
مغضباً عني وعربد
فزجرت قلبي قائلاً
أرأيت كيف أساء بالرد ؟
ماآن أن تثني عنان الغي
عنه عساك ترشد
فأعدل بنا نحو الغري
وعد بنا فالعود أحمد
وأمدح به سرّ الإله
وبابه والعين واليد
من مهّد الأيمان صار
مه وللإسلام شيّد ؟
لولا صليل حسامه
لرأيت لات القوم يعبد
من خاض غمرتها غداة
حنين والهامات تحصد؟
ألا أبو حسنٍ أمير النحل
والتنزيل يشهد
أم من تصدى لابن ودٍّ
ومن شمل القوم برّد ؟
إلاه فابرق ياهذيم
وبعدها ما شئت فأرعد

ومنها:

واهتف بخير الخلق بعد
المصطفى المولى المؤيد
واطلق له العتب الممض
وقل له أعلمت ما قد ؟
فعلت بنو الطلقاء في
أبناء فاطمة وأحمد ؟

قد جمّعـوا لقتـــالهم
مـن كـل أشئم إثر أنـكد
جيشاً تغـص به البسيطة
مستحيل الحصـر والعد
وقفـت لدفعـهم كمـاة
ـ لا تهاب الموت ـ كالسد
مـن كـل قـرمٍ لا يـرى
للسيـف إلا الهـام مغمد
فيهم أبو السجاد يقدمهم
عـلى طـرفٍ معـوّد
إن عـارض الأبطال قط
وإن علاهـم سيـفه قـد
فـأغبـرت الأكـوان منه
وعاد طرف الشمس أرمد
وتجاوبت بالنـوح أملاك
السمـاء على ابـن أحمد
وغـدت بنـات الوحـي
حسرى فوق مصرعه تردد
عبراتهـا تنهل والأحشاء
مـن حـزن تـوقـد
تتصفح القتلى وتدعـو
حـرة الأكبـاد يـا جد
هـذا حسينـك في عراص
الطف مقتـول مـجرد
أنصـاره مثل الأضـاحي
أصـيد في جنـب أصـيد[13]

ونراه يشـكو ويبـث لواعجـه و آلامه ويندب عيشـه بأسـلوب رائع أخّاذ يتسم بطابع السلاسـة والوضوح، أنها مشـاعر صادقـة انطلقت مـن نفس شـاعر رقيق الحس، مشبوب العاطفة:

إلى الله أشكو ما أقاسي من الجوى
غداة استقلت بالحبيب ركائبه
وأقفر ربعاً طالما كـان خالياً
به فخـلت أكنافه وملاعبه
فبت أقاسي ليـلة مكفهرة
وليس سوى الشعرى بها من أخاطبه
أكفكف فيها الدمع والدمع مرسل
كغيث همى لما أرجحنّت كتائبه
وأندب عيشاً طالمـا بتُّ آنساً
بها بأغنّ ماطل الوعد كاذبه
عزيزاً إذا ما قصر اللـيل وصله
أمدت ليالينا القصـار ذوائبه
أهمّ بلثم الغصن من ورد خده
فيمنعني من عقرب الصدغ لاسبه
وأرشف من تلك المنايا مدامة
تقيّح عند الخندريس[14] وساكبه
فمن لي بربع غـاب عنه ربيعه
ومن لي بقلب ودعـته حبائبه
وليل يرد الطرف محلولك الذرى
مشارقه مجهولة ومغـاربه
بهيم يزيل القلب عن مستقره
تغور ذراريه وتطـفو كواكبه
وصلت السرى فيه بأبيض صارم
من الهند عضب لم تنحني مضاربه
على ضامر لو مرّ في غلوائه
ولما يكفكفه عن الجري راكبه
لجاز الصبا ثم أسبكرّ كـأنما
يلاعبها في جريه وتـلاعبه
فما راعني الا الصبـاح كراكب
تلوح لنا منه الغـداة مناكبه
بعارض من زهر النجوم جوانحاً
كجيش تداعت للفرار جوانبه
وأغضنه قـرن الغزالة طالعاً
يخرق من داجي الظلام غياهبه[15]

وأطلعني فضيلة الحـاج مصطفى خان علـى صـورة نـادرة للشـاعر الكربلائي المرحـوم الحـاج عبد المهـدي آل حافظ كتب تحتها هذان البيتان:

أنت في الدنيا كضيف راحل
حل في الأحياء حياً وانصرف[16]
فأحيي بالذكر اذا العمر انقضى
واجعل الرسم من الجسم خلف

وكان الشاعر عبد المهدي آل حافظ معاصراً لعدد من علماء وشعراء كربلاء، وله معهم مواقف محمودة لها شأن يذكر، حيث حدثني العلامة الراحل السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية بنبذة موجزة عنه فقال: كان خفيف الروح، لبق اللسان، لطيف المعشر، سميراً مؤنساً ومحدثاً بليغاً، كما كان حلقةً فريدة من الثقافة الجامعة. وروي لي الشاعر عبد الحسين الحويزي أبياتاً كان قد قدمها إليه عندما أصبح رئيساً لبلدية كربلاء بعد أن سجن فترة قصيرة لأسباب سياسية ومنها هذه الأبيات:

جسد المعالي فيك زاد نشاطه
لما من الأعضاء صرت رئيسا
أصبحت كالصديق يوسف في الورى
ملكاً وكان بسجنه محبوسا
قذفوك في يم المهالك بعدما
لك أسسوا كيد الشقى تأسيسا
فرجعت كي أم العلى بك عينها
أبداً تقر مثال رجعة موسى[17]

حفل تاريخ حياة شاعرنا الحاج عبد المهدي آل حافظ بجلائل الأعمال الوطنية والقضايا الأدبية التي خلدته مدى الزمن، وسوف تبقى ذكراه حية في القلوب والأذهان لا يسدل عليها الزمن ستار النسيان ■

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي ج٨ ص٢٩٧.
(٢) الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر، ابراهيم الواعظ ص٢٣٧.
(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين ج٣٩ ص١٦٨.
(٤) الطليعة في شعراء الشيعة، الشيخ محمد السماوي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج٢ ص٥٣٨.
(٥) أدب الطف أو شعراء الحسين، السيد جواد شبر ج٨ص٢٥٦.
(٦) أعلام الأدب في العراق الحديث، مير بصري ج١ ص٨٣،٨٢.
(٧) أعلام السياسة في العراق الحديث، مير بصري ج٢ ص٢٤.
(٨) أبو المحاسن الشاعر الوطني الخالد، السيد سلمان هادي آل طعمة ص٣١.
(٩) أبو المحاسن الشاعر الوطني الخالد ص٣١ و٣٢.
(١٠) شعراء الغري، علي الخاقاني ج٢ ٢٨٧و٢٨٨.
(١١) البيوتات الأدبية في كربلاء، موسى الكرباسي ص١٧٣.
(١٢) البيوتات الأدبية في كربلاء ص١٧٢.
(١٣) أعيان الشيعة ج ٣٩ ص١٦٨ ومجموعة خطية للسيد حسين القزويني الحائري.
(١٤) الخندريس: الخمر العتيق.
(١٥) جريدة (الرقيب) البغدادية العدد ٢٦٤٧، شعبان ١٣٢٧هـ.
(١٦) شعراء من كربلاء ج ١ ص٣٥٦.
(١٧) شعراء من كربلاء ج١ ص٢٣٧.

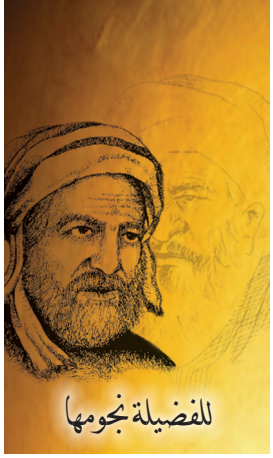

الشيخ عبد الله السبيتي

١٣١٣ـ١٣٩٧هـ/ ١٨٩٦ـ١٩٧٦م

م. م. مجيد الحدراوي ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد السبيتي العاملي ولد بقرية كفرا في جبل عامل عام ١٨٩٦م وتلقى في الجبل العاملي علومه الأولى إذ درس المقدمات الأدبية والشرعية على أفاضل العلماء والفقهاء وأبرزهم آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

كان الشيخ عبد الله السبتي طموحاً في إكمال دراسته للعلوم الدينية في معاهد النجف الأشرف وحوزاتها العلمية وقد تيسر له ذلك حين هاجر إليها سنة ١٩١٨/١٣٣٧م لإكمال دروسه في الفقه وأصوله والعلوم الأخرى فحضر على السيد محمد جواد الصدر والسيد حيدر الصدر والشيخ محمد تقي صادق والشيخ مرتضى آل ياسين ثم حضر الأبحاث العالية على يد أساطين العلم والمرجعية في مدينة النجف الأشرف وأبرزهم الشيخ محمد حسن المظفر والشيخ محمد علي الجمالي والسيد محسن الحكيم والشيخ محمد رضا آل ياسين والسيد أبي الحسن الإصفهاني والشيخ حسين النائيني.

ينتمي الشيخ عبد الله لأسرة آل

السبيتي التي تعد من الأسر العلمية والأدبية الجليلة والمعروفة في بلاد عامل ولها مصاهرات مع غيرها من الأسر العلمية والأدبية فكانت أم المترجم له بنت العلامة الشيخ محمد علي عز الدين، أما زوجته فكانت بنت آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين.

كان المترجم له فقيهاً فاضلاً وقد تفتحت أمامه في المدينة المقدسة آفاقاً واسعة في البحث والتأليف وهذا ما بدا واضحاً من خلال نتاجه العلمي الذي أوقفه على الدفاع عن أهل بيت المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومحبيهم، وقد أبلى بلاءً حسناً في هذه الميادين وكان واحداً من العلماء الأفذاذ الذين تصدوا للوقوف بوجه الهجمة المعادية لأتباع مدرسة أهل بيت الرحمة عليهم السلام فقد شهد العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين مزيداً من الظلم والاضطهاد السياسي والفكري وشهدت المنطقة العربية أحداثاً كان ومعها كبيراً على محبي أهل البيت عليهم السلام لعل أبرزها قيام الوهابية بتهديم مشاهد أئمة البقيع عليهم السلام وما تلاها من حملات فكرية وإعلامية مظللة لكتاب من أمثال محمد كرد علي صاحب (المقتبس) والكتاب المصري أحمد أمين ولويس شيخو اليسوعي صاحب مجلة المشرق وغيرهم، وإزاء تلك الهجمة برز الشيخ عبد الله السبتي والذي كان طالباً للعلوم الدينية في النجف الأشرف وقتذاك فقد نشر مقالة تدحض أقوال أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) حول أبي ذر الغفاري فقد رأى أن ما حمله هذا الكتاب من طعون دامية يحتاج إلى محاسبة دقيقة لأن ما جاء به أحمد أمين موصول بماض سله أمثال ابن تيمية والشهرستاني وابن حزم الظاهري، ثم تابع نقده للكتاب في مقالة ثانية نشرتهما مجلة العرفان اللبنانية في عددي أيار وتموز لعام ١٩٣١.

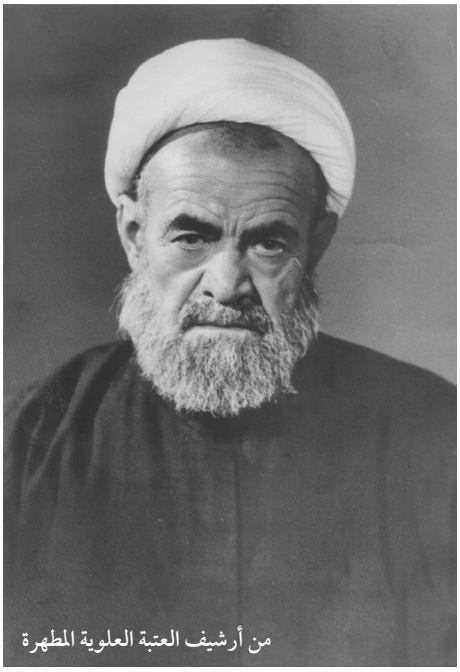
من أرشيف العتبة العلوية المطهرة

لم يكتفي الشيخ بذلك بل أصدر كتاباً جاء بعنوان (تحت راية الحق) في الرد على طعون (فجر الإسلام) صدر عن مطبعة العرفان عام ١٩٣٣ إلا أن ما آل إليه مصير هذا الكتاب كان مؤسفاً للشيخ السبيتي ومناصري الحرية الفكرية إذ منعت السلطان العراقية دخول الكتاب إلى العراق وأصدرت أمراً بإحراقه في الكمارك العراقية وبهذا الصدد يقول الشيخ عبد الله السبيتي: (وكانت الصدمة عنيفة جداً وعلمت آنذاك أن الحق لازال في محبسه الضيق تحوطه سيوف السياسة

ورماحها ولم يتهيأ له الانطلاق والتحرير لأن اللحظة المرجوة لبروز العلة والحقائق لم يأت وقتها).

وقد أعاد الشيخ السبيتي طبع الكتاب في إيران عام ١٩٤٥م.

تابع الشيخ جهوده في رصد كل ما يصدر من شبهات والرد عليها دفاعاً عن الحقيقة وليوضح لقراءه من المسلمين كل التباس وتشويه يحاول أصحاب الأغراض السيئة بثها في نفوس المسلمين فقد تجاوز أحد علماء الأزهر المدعو (سعد حسن) في كتابه (المهدوية في الإسلام) على المسلمين حين هاجم في كتابه هذا المؤمنين الذين يعتقدون بوجود الإمام المهدي عليه السلام هجوماً عنيفاً تعدى حدود البحث العلمي إلى سباب واستهتار من غير مبرر إلا فتنة الهوى وفتنة الشهوات المتأصلة في النفوس المريضة.

عمد الشيخ إلى الرد على ما جاء في هذا الكتاب من خلال رسالة ألفها لهذا الغرض جاءت بعنوان (إلى مشيخة الأزهر) صدرت في بغداد عام ١٩٥٦م وفيها سعى جهاداً لتفنيد ما جاء من أباطيل مستنداً على الحجج الدامغة من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة موضحاً بالدليل القاطع حقيقة مبادئ الشيعة وصدق اعتقاداتهم.

وبعد أن خرج الشيخ من رده على الشبهات التي جاء بها الكتاب دعا علماء الأزهر والحكومة المصرية على حد سواء إلى تحمل مسؤولياتهم في منع الساعين إلى إثارة الأحقاد والضغائن من حيث أفكارهم السامة حفاظاً على وحدة المسلمين وتساءل في هذا الصدد قائلاً: هل خرج الأزهر من تسوية مشاكل المسلمين وإدخالهم في طور سياسي جديد تلمس فيه المسلمين العظمة والتفوق في جيشهم وأركان حربهم إلى غير ذلك من أسباب عزة الدولة ورفع شأنها ليرهب الغرب الدول الإسلامية ويخاطبها مخاطبة الند للند ولم يبق عند الأزهر والأزهريين إلا الشيعة وعقائدهم...

ونحن نكرر السؤال نفسه الذي طرحه الشيخ قبل عشرات السنين ترى هل تمكن العرب من حل مشاكلهم ولم يبق أمامهم إلا محبي أهل البيت عليهم السلام ليوجه بعضهم سموم حقدهم التي تبث ليل نهار بدفائن الأحقاد.

واصل الشيخ عبد الله السبيتي منهجه في مناقشة القضايا موضع الخلاف بين المسلمين فقد بحث في آية المباهلة: (فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) آل عمران/٦١، أوضح الشيخ عظم وأهمية الآية القرآنية الكريمة واعتبرها من الآيات الفواصل في مراحل الإسلام ولعظم أثرها هذا كانت مدار بحث طويل بين المفسرين والفلاسفة حتى اليوم ذلك لأنها قاعدة من قواعد الإمامة.

يعتقد الشيخ السبيتي أن للأهواء والمطامع السياسية أثرها في التأثير على بعض الكتاب فقد حاول بعضهم تفسير الآية غير تفسيرها الصحيح لأن مطامع السياسيين أرادت التحكم بأصول الدين وإخضاعها لأهوائهم ونشرها برغباتهم وإضفاء الشرعية على حكمهم وجعلها أداة للإثراء والتسلط على رقاب المسلمين على نحو ما سار عليه تاريخ الحكم الإسلامي بعد وفاة الرسول الأعظم

محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

يؤكد الشيخ هذا المعنى في كتابه (المباهلة) موضحاً أن آل البيت عليهم السلام هم صفوة الأمم وخيرة العرب والعجم مبيناً أن السياسة وألاعيبها أثرت في توجيه التاريخ سلباً مما أثر في وقوع أقلام بعض المؤرخين تحت وطأتها.

وضح الشيخ في كتابه هذا ظروف يوم المباهلة وعوامله وآثاره بأسلوب واضح جلي مبيناً الحقيقة لطلابها.

نشاطات أخرى للشيخ السبيتي:

في سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م عاد الشيخ السبيتي إلى بلدته كفراً عالماً مرشداً ومصلحاً موجهاً فمكث فيها مدة سبع سنين متواصلة بعدها آثر العودة إلى مدينة النجف الأشرف ومنها انطلق في سفرات متعددة إلى بعض دول العالم حيث سافر لإيران عدة مرات زائراً وباحثاً والتقى بالعديد من الشخصيات العلمية والفكرية، وسافر إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث توجد الجالية العربية وبدعوة منها في دول تلك القارتين كما شارك في الاحتفال الذي أقيم في مدينة كراجي بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاة الإمام علي عليه السلام وألقى كلمة في المؤتمر.

نزل الشيخ السبيتي في مدينة الكاظمية وعمل على تأسيس مؤسسة (حديث الشهر) وعملت هذه المؤسسة على إصدار سلسلة كتب مختارة تصدر في الشهر مرة إلا أنها توقف بعد صدور كتابها الخامس عشر.

بالإضافة إلى مؤلفاته التي تمت الإشارة إليها آنفاً فقد صدر الشيخ في أوقات مختلفة الكتب التالية:

- رنة الأسى: صدر في نيسان ١٩٢٩م وفيه يوضح الشيخ أهمية الشعائر الحسينية في تثبيت أركان المذهب الجعفري وحال فيه تفنيد الآراء الداعية إلى تحريم بعض الشعائر مستعيناً بفتاوى المجتهدين من معاصريه.
- مع أبي زهرة في كتاب الإمام الصادق عليه السلام وفي رد على الافتراءات التي جاء فيها مؤلف كتاب أبي زهرة.

ومن مؤلفاته في التاريخ الإسلامي هي:

- أبو ذر الغفاري.
- أبو هريرة في التيار.
- سلمان الفارسي.
- عمار بن ياسر.
- حجر بن عدي.
- السيرة النبوية (مخطوط).

وبعد هذه المرحلة الطويلة للشيخ عبد الله السبيتي في البحث والاستقصاء التي وقفها للدفاع عن آل البيت عليهم السلام ومحبيهم حل ضيفاً على الرحمن ليلة الأربعاء ٢٥ رجب ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م في مدينة الكاظمية ونقل إلى النجف الأشرف ودفن بالصحن الشريف مع عمه أبي زوجته بحجرة رقم ٤٨ ■

من معالم الحج..

مِنـــى

الشيخ حميد البغدادي •

ينابيع

قال تعالى: (وَاذْكُرُوا اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ).

منى هي المكان الذي يبيت فيه الحاج ليالي معلومة من ذي الحجة، ليرمي الجمرات الثلاث قال تعالى: (وَاذْكُرُوا اللّه فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) هي: أيام منى، ويوم العيد، وأيام التشريق الثلاثة بعده، ومنى هذه بلدة صغيرة في عرضها صفان من البيوت على جانبي الطريق الذي يشقها، والذي يبتدئ من مكة ويوصل إلى عرفات، وبيوت منى مبنية من الحجر الأصم، وأكثرها طبقتان، ولا تُسكَن إلا مدة الحج، وحَدُّها من جهة مكة جمرة العقبة، ومن جهة المزدلفة وادي محسر.

وبها يبيت الحجاج ليالي ٩-١١-١٢ من ذي الحجة لمن يتعجل وليلة ١٣ لمن يتأخر وهو مشعر داخل حدود الحرم وبها رمى إبراهيم عليه السلام الجمار وذبح كبشا بدل إسماعيل عليه السلام وبها مسجد الخيف والجمرات الثلاث وبها تمت بيعة الأنصار المعروفة ببيعة العقبة الأولى و الثانية وبها نزلت سورة النصر أثناء حجة الوداع.

سبب التسمية:

وسبب تسميتها بهذا الاسم أقوال منها:

١- لما يُمنى فيها من الدماء المشروعة في الحج - أي يُرَاق - وهذا هو المشهور.

٢- لتمني آدم فيها الجنة.

٣- لاجتماع الناس بها، والعرب تقول لكل مكان يجتمع فيه الناس (مِنى).

حدود مِنى:

تقع منى بين مكة ومزدلفة على بعد ٧ كم شمال شرق المسجد الحرام وعن طريق النفق ٤ كم.

من معالم منى

الجمرات:

جمع جمرة وهي الحصاة الصغيرة وجمرات المناسك الثلاث بمنى هي: الجمرة الصغرى والوسطى والعقبة وهي عبارة عن أعمدة حجرية وسط أحواض ثلاث علامة للمكان الذي ظهر به الشيطان ورماه سيدنا إبراهيم عليه السلام.

أما الأحواض التي حول الأعمدة فإنها أحدثت بعد سنة ١٢٩٢هـ لتخفيف الزحام ولجمع الحصى في مكان واحد ومما يلاحظ أن حوض جمرة العقبة بني من جهة واحدة وذلك لأن هذه الجمرة كانت ملاصقة لجبيل ولما أزيل الجبيل لتوسعة الشارع بقي الحوض نصف دائرة ونظراً لتزايد الحجاج بني دور علوي للجمرات بعد سنة ١٣٨٣ هـ وقد تمت توسعته أكثر من مرة والمسافة بين جمرة العقبة و الوسطى نحو ٢٤٧ متراً وبين الوسطى والصغرى نحو ٢٠٠متراً.

وادي محسر:

قال ابن القيم: سمي ذلك الوادي محسر لأن الفيل حسر فيه أي أعيى وانقطع عن الذهاب وقال أيضاً: وهو المكان الذي أهلك الله فيه الفيل وأصحابه ويسن للحاج الإسراع فيه أثناء عودته من مزدلفة إلى منى وقد أشير إلى حدوده بين منى والمزدلفة باللوحات الإرشادية المكتوب عليها (وادي محسر) وهو من الحرم وليس بمشعر.

مسجد الخَيف:

الخيف بفتح الخاء وسكون الياء.. ما

انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.. ومنه سمي مسجد الخيف، ويقع في سفح جبل منى الجنوبي قريباً من الجمرة الصغرى وقد صلى فيه النبي ﷺ والأنبياء من قبله. فعن يزيد بن الأسود قال: شهدت مع النبي ﷺ حجته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف وقد كان هذا المسجد موضع اهتمام وعناية أمراء المسلمين على مر التاريخ وتمت توسعته وعمارته في سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م وبه أربع منائر وهو مكيف بـ٤١٠ وحدة تكييف كما يساعد على تلطيف الهواء في المسجد ١١٠٠ مروحة ويليه مجمع دورات المياه ويوجد به أكثر من ألف دورة مياه وثلاثة آلاف صنبور للوضوء.

مسجد البيعة:

تمت في هذا الموضع من منى سنة ١٢ من البعثة بيعة العقبة الأولى حيث بايع ١٢ شخصا من أعيان قبيلتي الأوس والخزرج من المدينة النبي الأكرم ﷺ. كما أن بيعة العقبة الثانية كانت أيضاً في هذا الموقع وذلك أثناء موسم حج ١٣ من البعثة الشريفة وحضر هذه البيعة ٧٣ رجلاً وامرأتان من أهل المدينة، وعرفت هذه البيعة ببيعة العقبة الكبرى. وبنى المنصور العباسي سنة ١٤٤هـ المسجد في موضع البيعة وهو مكون من فناء مكشوف يتقدمه مظلة. وعمَّرَه أيضاً المستنصر العباسي سنة ٦٢٩ هـ. وهو على بعد ٣٠٠ متر من جمرة العقبة على يمين الجسر النازل من منى إلى مكة المكرمة. وعمَّرَه أيضًا المستنصر العباسي سنة ٦٢٩ هـ.

مسجد الكبش:

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الصخرة التي بمِنى التي بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم عليه السلام فداء ابنه، هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقرن، له ثغاء، فذبحه، قال: وقد هبط الكبش على العرق الأبيض الذي يلي باب شعب علي عليه السلام وباب الشعب هذا هو الذي بنت عليه لبابة بنت علي بن عبد الله بن عباس المسجد الذي يُقَال له: مسجد الكبش، وهذا المسجد على يسار الذاهب إلى عرفات، وفي شمال جمرة العقبة، وقد عُمِّر هذا المسجد مرات عديدة.

آبار مِنى:

وبمِنى خمس عشرة بئراً: منها بئر تعرف بالحجامية بقرب جمرة العقبة، ومنها بئر يُقَال لها: كدَّانة، ومنها بئر يُقَال لها عَمَّارة، ومنها بئر يُقَال لها: الكُلَيْبِيَّة، ومنها بئر يُقَال لها الشَّعْبَانيَّة، ومنها بئر يُقَال لها: أم الحمام، عمَّرَتْها زوجة الملك المنصور صاحب اليمن.. وغير ذلك من الآبار.

منى في الجاهلية

أول من نصب الأصنام هو عمر بن لحي نصب بمني سبعة أصنام ـ نصب صنماً على القرين الذي بين مسجد مني والجمرة الأول على بعض الطريق، ونصب على الجمرة الأولى صنماً، وعلى المد عاضماً، وعلى الجمرة الوسطي صنماً، ونصب على شفير الوادي صنما وفوق الجمرة العظمى صنماً، وقسم عليهن حصى الجمار إحدى وعشرين حصاة يرمى كل وثن منها بثلاثة حصيان ويقال للوثن حين يرمي! أنت أكبر من فلان ويعني الصنم الذي يرمي قبله.

رمي الجمار:

رمي الجمار أحد مناسك الحج وواجباته التي بينها رسول الله ﷺ في حجته المشهورة بحجة الوداع وهو رمز لوحدة المسلمين على هدف واحد لو استوعبوه وطبقوه ضد أعدائهم لحققوا النصر.

والجمار هي الحجارة الصغيرة، وهي الأماكن التي يرمي الحجاج فيها تلك الحجارة الصغيرة فالجمار تطلق على شيئين: الحجارة، والأماكن التي تلقى فيها هذه الحجارة في يوم النحر، وأيام التشريق، وهي ثلاث جمرات جمرة العقبة الكبرى، والجمرة الوسطي والجمرة الصغرى وجميعها في منى من جهة مكة.

أول من رمي الجمار هو إبراهيم عليه السلام لما خرج به جبريل عليه السلام ليريه مناسك الحج فمر بجمرة العقبة فإذا بإبليس، فقال جبريل، كبر وأرمه، ثم ارتفع إبليس إلى الجمرة الثانية فقال جبريل: كبر وأرمه، ثم ارتفع إلى الجمرة القصوى، فقال جبريل: كبر وأرمه.

مواضع نزول النبي ﷺ بمِنى ومنازل أصحابه:

وكان منزل رسول الله ﷺ بمِنى على يسار مصلى الإمام، وكان يُنزل أزواجه موضع دار الإمارة، وكان ينزل الأنصار خلف دار الإمارة، وأومأ الرسول ﷺ إلى الناس أن انزلوا هاهنا وهاهنا ـ وفي رواية: (كان ينزل المهاجرون شعب المهاجرين، وينزل الأنصار شعب الأنصار)، الشعب بمِنى الذي من وراء دار الإمارة ـ ولما سأل عمر بن الخطاب زيد بن صوحان: أين منزلك بمِنى؟ قال في الشق الأيسر، قال عمر ذلك منزل الداج فلا تنزله، قال سفيان: ثم يقول عمر: ومنزلي منزل الداج، والداج هم التجار. وقد نزل الرسول ﷺ بالخيف ■

المكان القديم لرمي الجمار

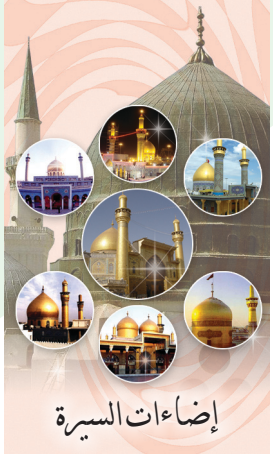

من فكر شهيد المحراب قدس سره..

الأبعاد النهضوية في حركة الإمام علي عليه السلام

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم •
قسم الثقافة والإعلام

ينابيع

إن شخصية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في الجانب القيادي لا تحتاج إلى حديث واسع بعد أنْ نعرف أنّه ثاني شخصية في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا أولاً، وثانياً: هو شخصية معصومة، ومن ثم فجميع صفات الكمال المفترضة في الإنسان هي موجودة في الإمام علي عليه السلام، ومنها المواصفات القيادية، ولكن مع ذلك يمكن أنْ نشير إلى عدة نقاط بارزة تعبّر عن هذه المواصفات القيادية في شخصية الإمام علي عليه السلام:

الأولى: هي العلم والمعرفة اللذان يتمتع بهما الإمام علي عليه السلام فهو أعلم المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل: (علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب)[1]، وعلي عليه السلام كان من العلم والمعرفة بحيث يقول فيه الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب: (لولا علي لهلك عمر)[2].

والعلم له دور مهم في الشخصية القياديّة، ولا سيما الشخصية القيادية

الإسلامية، حيث يراد من القائد أنْ يقود الأمَّة نحو الهدى ويطبق عليهم أحكام الإسلام، فلا بد أنْ يكون عالماً بالإسلام وبالشريعة، وعلي عليه السلام له هذه الصفة البارزة التي كان يعرفه بها جميع المسلمين، وهي من الصفات التي يقرّ له بها جميع المسلمين بدون استثناء، حتى إنه ورد عن عمر: (أنّ علياً عليه السلام كان أقضى المسلمين)، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهناك اعتراف آخر في كلام عمر بأنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنّ علياً أقضى الناس)[٢].

الثانية: التجربة الطويلة للإمام علي عليه السلام، وهذه الصفة مهمة جداً في الشخصية القيادية، حيث إنّ الإمام علياً عليه السلام منذ طفولته قد جرّب العمل السياسي والاجتماعي والقيادي، حيث تربّى في أحضان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومارس الأعمال السياسية والاجتماعية وهو في سنّ الطفولة، وعلي عليه السلام في بداية شبابه أوكل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهمة عظيمة جداً، وهي مهمة أداء الأمانات عند الهجرة، عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة في ظرف كان مطارداً من قبل المشركين، وتحمّل علي عليه السلام أعباء أداء هذه الأمانات في ذلك الجوّ السياسي المشحون، وأدار العمليّة إدارة ناجحة وتمكّن أنْ يحقّق هذا الهدف وهو وحده في مكة وأمام المشركين جميعاً.

وهكذا نجد الإمام علياً عليه السلام في مختلف

الأدوار التي مرّت برسول اللهﷺ، حيث كان يشارك في الغزوات والمعارك، وكانت مشاركته متميِّزَة أيضاً وتأتي في المقدّمة، كما أنّ النبيﷺ أوكل للإمام عليعليه السلام إدارة مناطق مهمة جداً في ظروف حساسة في المدينة المنوّرة عندما أراد أنْ يبتعد عنهاﷺ إلى مسافات شاسعة، كغزوة تبوك التي كانت من الغزوات المتميّزة ببعد الشقّة، كما يعبر القرآن الكريم عنها، أوكل أمر المدينة إلى الإمام عليعليه السلام وأرجف به المنافقون.

كما أنّ اليمن عندما فتحت أوكلت إدارتها إلى الإمام عليعليه السلام وهي منطقة حساسة في أطراف الجزيرة العربية، وكانت محكومة لملوك آخرين، وليس حالها حال بقية أنحاء الجزيرة العربية التي كانت تحكم من قبل العشائر والقبائل في ذلك الوقت، إذن فالإمام عليعليه السلام كان طويل التجربة.

وبالرغم من إقصاء الإمام عليعليه السلام عن الخلافة بعد رسول اللهﷺ إلاّ أنه كان له دور كبير جداً في تسديد الخلفاء، الذين حكموا بعد رسول اللهﷺ واعترفوا هم بهذا الدور الخاص من التسديد.

إذن كان الامام علي ذو تجربة طويلة الأمد وفي ظروف مختلفة وحسّاسة، وهذا يعطيه أيضاً جانباً مهمّاً في شخصيته.

الثالثة: ومن جملة الخصائص التي يمكن أنْ نذكرها للإمام عليعليه السلام هي: خصوصية الحزم والعزم، فالإمام عليعليه السلام كان يتّصف بأنه حازم في مواقفه، وصابر على الشدائد التي كان يواجهها، وهذه الصفات هي من صفات الأنبياء، فإنّ صفة العزم صفة الأنبياء الذين لهم درجة عالية جداً في النبوة، وهم أولو العزم، فالإمام عليعليه السلام كان يتّصف بهذه الصفة ـ مضافاً إلى قضية الحزم ـ في اتخاذ القرارات الصعبة، فإنّ القرارات التي اتخذها الإمام عليعليه السلام في الحروب في زمانه كانت قرارات صعبة جداً، وهكذا قراره في الفتنة التي وقعت في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، بالرغم من ظروف المسلمين والهجوم العام للقواعد الشعبية على الخليفة،فإن الإمام عليعليه السلام اتخذ القرار في أنْ يقوم بدور الدفاع عن الخليفة من أجل أنْ لا يقتل، فأرسل الحسنين لبيت الخليفة من ناحية ولكي يدخلا أيضاً في حديث مع الجمهور الثائرين من أجل تهدئة الأوضاع، ولم يتخذ أي شخص من الصحابة على الإطلاق ـ من القريبين من عثمان أو البعيدين عنه ـ مثل هذا الموقف الحازم الذي اتخذه الإمام عليعليه السلام، فهو يتّصف بهاتين الصفتين المهمّتين التين لابد من وجودهما في القائد.

الرابعة: والصفة الأخرى البارزة التي عرف بها الإمام عليعليه السلام وبقيت كصفة لا يشابهه فيها أحد غير رسول اللهﷺ هي: صفة العدالة فقد كان الإمام عليعليه السلام على درجة عالية من العدالة في التعامل مع جميع القضايا.

الخامسة: الموازنة. فقد كان الإمام عليعليه السلام يوازن بين التقوى ـ تقوى الله سبحانه وتعالى ـ والمصالح الإسلامية العامة، وهذه القضية من القضايا المُهِمَّة.

بعض الأشخاص لا يكون قادراً على إيجاد مثل هذه الموازنة مما يجعله ينساق مع حالة التقوى، فيغفل عن المصالح، ثم تذهب الكثير من المصالح المُهِمَّة، والبعض الآخر تكون عقليته عقلية المصلحة

والفوائد والمنافع، فينسى التقوى والحكم الشرعي والارتباط بالله سبحانه وتعالى، وأمّا الإمام علي عليه السلام فكان دقيقاً في هذه القضية، وهذه من المواصفات المُهِمّة جداً في القائد الإسلامي.

السادسة: توثيق الارتباط بالأمّة. فالإمام علي عليه السلام كان يمارس دوره القيادي من خلال تأكيد وتوثيق الارتباط بالأمّة وقواعدها ـ القواعد الشعبية لها ـ فهو عليه السلام ذلك القائد الذي كان يريد أنْ يبقى قريباً من الأمّة إلى أقصى ما يمكن أن يحقّقه القائد من قرب، ولذلك كان يمارس هذا الدور بصورة مستمرّة، وبقي الإمام علي عليه السلام يعيش في قلوب الأمّة وفي ضمائرها، باعتبار وجود هذا القرب الوثيق منه عليه السلام مع أبناء الأمّة.

منهج الإمام علي عليه السلام في تربية الأمّة الإسلامية

إن الإمام علي عليه السلام قد ترك لنا تراثاً كبيراً جداً من حيث الحجم، وعلى درجة عالية من حيث المضمون والمحتوى، وأحد نماذج هذا التراث هو نهج البلاغة الذي يُمثّل خلاصة للكثير من الخطب، مضافاً إلى ما تركه عليه السلام من تراث في مجال الأدعية في التأريخ الإسلامي.

هناك تراث يحتاج إلى دراسة كاملة من أجل الوصول إلى تصوّر متكامل عن منهجه عليه السلام، ولكن سأشير إلى بعض المعالم; لأنّ كل ما يقوله الإنسان في حق الإمام علي عليه السلام يرى أنه يقول شيئاً قليلاً، وهو قاصر ولا يمكن أنْ يفي بحق هذه الشخصية العظيمة، لكننا نشير إلى بعض المعالم للاستفادة منها:

المَعْلَم الأول: تربية الأمة.

وهو من المعالم الإسلامية والرسالية الإلهيَّة التي أكّدها القرآن الكريم ومارسها الأنبياء بصورة عامة، والإمام علي عليه السلام كان يهتم به، حيث مارس عليه السلام تربية الأمّة من خلال الالتزام الشخصي بالأهداف وبالسلوك، وبالأعمال التي أراد صياغة الأمّة وتربيتها وتزكيتها على أساسها، فكان عليه السلام يمثّل القمة في القدوة، وكان يريد من هذه القدوة أنْ تتكامل في دائرة الفضائل والكمالات الإلهيَّة التي كان يتصف بها من ناحية، ويريد أنْ يربّي الأمّة على هذا الأمر من ناحية ثانية.

والمَعْلَم الثاني: متابعة أوضاع الأمة .

إنّ الإمام علياً عليه السلام كان يتابع بصورة دقيقة أوضاع الأمّة متابعة شخصية، فكان عليه السلام ينزل إلى الأسواق ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فنراه يتحدث في المساجد من أجل أنْ يربي هذه الأمّة، ويحضر في أوساط الجيش والعسكر من أجل أنْ يربيهم على الأخلاق العالية ويزكيهم في مواقع العمل والجهاد وهكذا.

كان يمارس هذا الدور، وهو ما يعبّر عنه بدور المتابعة والإشراف المباشر لحركة الأمّة وتطوّرها، وحركة التزكية والتطهير، وهو ما يمكن أنْ نعبّر عنه بالتربية، وهذه نقطة مهمة جداً في شخصية الإمام علي عليه السلام.

المَعْلَم الثالث: الخطاب للأمة والجمهور.

فالإمام علي عليه السلام كان يمارس دوراً كبيراً جداً في تثقيف الأمّة وتوعيتها للوصول بها إلى درجة عالية من المعرفة والفهم للحقائق، ولإدراك الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تعيشها. وكذلك المعرفة والفهم للحقائق

الاجتماعية والسنة التي تتحكم في مسيرة التأريخ من ناحية، والوعي لظروف وتفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية التي تعيشها الأمّة من ناحية أخرى، فكان عليه السلام يستخدم الخطاب الجماهيري المتكامل، ويتحدّث إلى الأمّة بصورة مستمرّة. لذلك لا نجد تراثاً قد تركه أحد بعد القرآن الكريم وبعد حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل التراث الذي تركه الإمام علي عليه السلام، ولم نجد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفظ له هذا القدر الكبير من الخطاب الذي حفظ للإمام علي عليه السلام، باعتباره أنّه عليه السلام كان يهتم بصورة بالغة بهذا الخطاب الجماهيري وخطب نهج البلاغة كما أشرت، وهو أحد النماذج التي تعبر عن هذه الحقيقة.

المعلم الرابع: تربية الخواص (الصفوة).

والجانب الآخر من موضوع التربية هو أنّ الإمام علياً عليه السلام كان يهتم بتربية الخواص، وكان يعطي للكادر (وهو ما يعبر عنه بالخواص، أو الصفوة إذا أردنا أنْ نستخدم بعض المصطلحات القرآنية) دوراً خاصاً في عملية التربية، فلذلك اهتمّ عليه السلام اهتماماً بالغاً بتربية مجموعة من الأشخاص والعناصر التي تكون على مستوى عال من العلم والتقوى والفضل والمعرفة والصبر والجهاد، وغير ذلك مما تتصف به هذه العناصر، وهي (العناصر) تقوم بدورها في تربية الأمّة وتطويرها والوصول بها إلى مرحلة التزكية والتطهير.

والإمام علي عليه السلام أعطى اهتماماً خاصاً لهذا الموضوع، ولذلك بقي خط الامام علي عليه السلام من خلال هؤلاء الخواص الذين كانوا يتحرّكون في أوساط الأمّة، وتمكن ايضاً أنْ يبقى خطاً نامياً متطوّراً على مرّ الزمن، والخط البياني ـ كما نعبّر في المصطلحات الجديدة ـ دائماً كان بحالة تصاعدية، ولم يشهد الخط البياني لحركته عليه السلام حالة نزولية وتسافلية، فالإمام علي عليه السلام بنى مدرسة نامية ومتكاملة لتربية الأمّة.

بناء المؤسسات

إنّ الإمام علياً عليه السلام لم يترك كل هذه الأمور بدون بناء المؤسسات، فقد اهتم عليه السلام ببناء المؤسسة التي يمكن أنْ تقوم بدور هام في التربية بعده، وهو من المناهج المُهمَّة التي اعتمدها عليه السلام، فقد أثر تأريخياً عنه أنه قام ببناء مؤسسة ما يسمى بـ (شرطة الخميس)، وهي ذات طبيعة خاصة يكون لها دور خاص في الأمّة، أو المؤسسات العلمية المختصة بكتابة الحديث والنصوص، ولولا الإمام علي عليه السلام لم نشهد في حياتنا الحاضرة ما عرفناه من حفظ لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديث علي عليه السلام ومن بعده من أئمة أهل البيت عليهم السلام، لأنه عليه السلام هو الذي أسّس مؤسسة تدوين العلم، على العكس من الخلفاء الذين سبقوه، فقد منعوا عملية التدوين، وهو عليه السلام بدأ هذه المؤسسة بنفسه عندما جلس ودوّن القرآن الكريم وشرحه، وكان أول من قام بهذه العملية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن، فهو بنى هذه المؤسسات الإسلامية التي نشهد الكثير من معالمها، ويمكن أنْ نتعرّف على هذا التأسيس عندما نرجع إلى الكتب التي تناولت موضوع تأسيس علوم الإسلام ومنها

تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، لآية الله السيد حسن الصدر، حيث يتحدث عن هذا الدور الكبير للإمام علي في تأسيس علوم الإسلام.

فأول من دوّن تأريخ الإسلام هو أحد تلامذته، وهو سُليم بن قيس، وسليم هذا كان أول مدوّن للتأريخ الإسلامي، وهكذا في بناء المؤسسة أيضاً، وكانت هذه من المناهج المُهِمَّة التي اعتمدها في موضوع التربية.

الإمام علي والبناء السياسي

من أهم مميزات البناء السياسي في عهد أمير المؤمنين هي:

أولاً: إخراج الدولة من الحالة الكسروية والقيصرية إلى الحالة الإسلامية، وهي حالة العبادة لله سبحانه وتعالى، وهذه قضية مهمة جداً، حيث إنّ الدولة قبل الإسلام في كل المجتمع الإنساني كانت دولة قيصرية أو كسروية في سيرتها، ولم تكن هناك سيرة أخرى، أو أن تكون هي الحالة القبلية والتمزّق والتشتت والاختلاف التي كانت تعيشها الجزيرة العربية التي لم تكن محكومة بدولة، فإما أنْ يوجد اختلاف وتشتت في الأمّة، أو تكون أمّة واحدة من خلال وجود قيصر أو كسرى مثلاً. فالإمام أخرج الدولة من هذه الحالة إلى تلك الحالة الخاصة، وكانت للإمام علي نظرية مأخوذة من الإسلام ومن مفاهيمه، والنبي مارس هذا الدور في هذه الدولة إلى حدّ كبير.

والخلفاء بعد رسول الله كذلك حاولوا أنْ يديموا ذلك، لكن كانت الحالة تتأرجح أحياناً من حالة الفوضى الموجودة في الحالة الجاهلية في الجزيرة العربية، أو الحالة الكسروية أو القيصرية في غير الجزيرة العربية الى حالة جديدة، وتوجد شواهد كثيرة على ذلك، لكن الإمام تمكّن في تلك السنين القصيرة أنْ يخرج الدولة من تلك الحالة إلى تشخيص صورة واضحة للدولة الإسلامية في مقابل حالة التمزُّق والفوضى، ومقابل حالة الكسروية والقيصرية.

ثانياً: الحرية السياسية، فالإمام علي عندما انشقَّ الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة عنه لم يتخذ أي إجراء قمعي في مقابل هذا الانشقاق، بالرغم من أنه انشقاق سياسي واضح، لكن عندما حملوا السلاح في وجهه وهاجموا الوالي في البصرة ونهبوا بيت المال واتخذوا إجراءات من هذا القبيل دخل معهم في صراع مسلح.

وهكذا الخوارج الذين انشقوا عنه بعد صفين في التحكيم فإنه كذلك كان انشقاقاً سياسياً، لكن الإمام لم يتخذ تجاههم أي إجراء قمعي، وإنما اتخذ هذا الإجراء بعد أنْ حملوا السلاح وقطعوا

الطريق وقاموا بأعمال مخلّة بالأمن العامّ للأمَّة، وهذه الحرية السياسية من المعالم المُهِمَّة التي ركّـز دعائمها الإمام علي عليه السلام في الدولة الإسلامية.

ثالثـاً: العدالة، فالإمـام علي عليه السلام كان مهتماً بتطبيق العدالة الإسلامية، ولا سيما في مجـال الحقوق العامـة للأمة ومجال العطاء الذي كان يأتي من الخراج الذي هو ملك لجميع المسلمين، وكذلك في مجال القضاء والمساواة بين المسلمين في هذا المجـال، وفي مجال التعدديـة القومية، فالإمام علي عليه السلام اهتم بتحقيق العدالة التي نعبّر عنها بالمساواة بين العرب والأعاجم من القوميات الأخرى في داخل المجتمع العربـي، ولـم يرَ عليه السلام فرقـاً لقريش على غيرها في الحقوق العامة، وهكذا بالنسبة إلـى كل أبنـاء الأمَّـة الإسـلامية، وهذه من المعالـم المُهِمَّة جـداً، التي تمكّن أنْ يرسّخها في الدولة.

رابعـاً: الأخلاقيـة العاليـة التي كانت متمثلة في هذه الدولـة، والإمام علي عليه السلام في كثيـر من حروبه كانـت هناك فرص يمكـن من خلالهـا أنْ يلحـق النصر على أعدائـه، ولكن كانت تمنعه تلك الأخلاقية العالية، فإنّ معاوية جاء واستولى على الماء في منطقـة صفين، وحـرم جيش الإمام علي عليه السلام منه من أجل أنْ يضعفهم من خلال العطش ـ وقد صنع ما صنع الأمويون في الحسين عليه السلام والقضية معروفة ـ لكن الإمام علياً عليه السلام عندما أزاحهم عن الماء واستولى عليه لم يقبل أنْ يقوم جيشه بمنع أصحاب معاوية منه.

وهكـذا فيمـا يتعلّق بموضوع السـب والشتم والقذف، فالإمام علي سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفيـن، إلاّ أنّه عليه السلام قـال: (إني اكره لكم أن تكونوا سبابين)[٤]، فهو عليه السلام يمتلك هذا النوع مـن الأخلاقية في مقـام التعامل، وتؤثـر عنه كثير من المواقف، كقوله: (لا تلاحقـوا فاراً ولا تجهزوا على جريح)[٥]، إلى غيـر ذلك مـن الأخلاقيـات العالية التي طبّقها عليها السلام في تعامله مع أم المؤمنين عائشـة في حرب الجمـل، ومع أصحاب الجمل فـي العفو عنهم وهـي كثيرة جداً تعبِّر عن أخلاقية عالية في مقام التعامل، وهـذا الجانب مـن الجوانـب المُهِمَّة في موضوع الدولة الإسلامية.

رؤية الإمام علي عليه السلام إلى دور المرأة في المجتمع الإسلامي

هـذا الموضـوع مـن الموضوعـات المهمة التي تحتاج إلى بحث واسع، ولكني سـأتناول الموضوع بصورة مختصرة من خلال ذكر مثالين بارزيـن يمكن أنْ يُعبّرا عن نظـرة الإمام علي عليه السلام لدور المرأة في المجتمع الإسلامي.

المثـال الأول: هو الزهراء عليها السلام زوجة الإمام علـي عليه السلام وحبيبته، كمـا هي حبيبة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والعلاقة بينهما كانت على درجة عالية جداً من الحب والاحترام والتقديس والانسجام، ودور الزهراء عليها السلام يمثّل صورة واضحة لرؤية الإمام علي عليه السلام ولدور المرأة في المجتمع الإسلامي.

الزهـراء عليها السلام كان لهـا دور مهـم جداً فـي البيت، وكان لهـا دور مهم في العمل الاجتماعـي والسياسـي، حتـى أدّى الأمـر بها إلى الاستشـهاد من أجل العمل السياسـي والاجتماعي، كما كان لها دور في العلـم والمعرفـة، حيـث كانت على درجة عالية من العلم والمعرفة، ولها دور

في العبـادة والتكامل في العبادة، إلى غير ذلك من الخصائـص التي يمكن أنْ نراها في شـخصية الزهراء عليها السلام وفـي حركتها الاجتماعية.

المثال الثاني: هـو مثال زينب عليها السلام، فزينـب بنت الإمام علـي عليه السلام وتربّت في أحضانه وفي مدرسـته، كما أنّ الحسـن والحسين كانا في هذه الأحضان وفي هذه المدرسة.

ودور زينب عليها السلام في المجتمع الإسلامي كان واضحـاً جـداً، ولا سـيما في قضية الإمام الحسـين عليه السلام، حيث كانت شريكته في مختلف الأدوار التي قام بها عليه السلام، سواء في أدوار التمهيد للنهضة، أم في النهضة نفسها، أم دور الدفاع عنها والدعاية لها، وكان لهـا دور حمايـة البقيـة الباقية من الأسـرة وأهل البيـت عليهم السلام، وهذه الأدوار في الواقع يمكن أنْ نقول عنها بأنها تشكل نظرية الإمـام علي عليه السلام في دور المرأة في المجتمع الإسلامي.

الإمام علي عليه السلام والخلافة

هناك أدلة على أحقيته عليه السلام من القرآن الكريم، وهناك مـن الآيات الكريمة التي تبلغ المئات ،في شأن أحقية الإمام علي عليه السلام وهناك نصوص تقول بأنه نزلت ثلاثمائة آية في الإمام علي عليه السلام، ولا توجد أي حالة أخرى مشابهة لها نسبت إلى أي إنسان في القرآن الكريم.

وهكذا الروايـات الصحيحة المتواترة لدى جميع المسـلمين، سواءً الواردة عن إخـواننـا أبنـاء الجمهـور، أم الروايـات الصحيحـة التـي وردت عـن طريق أهل البيـت عليهم السلام، مـن قبيـل حـديث الثقلين وحـديث السفينة وحديث النجوم وحديث (علي مع الحـق والحق مع علي)[٦]، وغير ذلك من الأحاديث والروايات التي وردت في شأن الإمام علي عليه السلام.

ومـن جملة الأمـور المُهمّة الاعتراف العام بهـذه الحقيقة، فالإمام علي عليه السلام كان يعترف له المسـلمون بهـذا الحق، وحتى أولئك الذين ذهبـوا مذاهب أخرى فإنهم قالـوا: نحـاول أنْ نفسّـر هـذا المذهب الآخـر لصالـح الإمام عليه السلام لأنّـه ليس من مصلحته عليه السلام أنْ يتصدّى للخلافة باعتبار أنه شاب وله ثارات مع الكثير من الناس في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يكون تصدّيه يوجد اختلالاً في الوضع العام، وقد اجتهدوا في مقابل النصـوص التي وردت عـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وحديث الغدير ـ وهـو من الأحاديث المتواترة التـي وردت في هذا الموضوع ـ فالاعتـراف العام بهـذه الحقيقة كذلك يشـكل واقعاً في هـذا المجال. وكذلك ما أشـرت له قبـل قليل من أنّ خـطّ الإمام علي عليه السلام بقي يسير بصورة متنامية ومتكاملة مـن الناحيـة البيانيـة، والإمـام علي عليه السلام بعـد وفاة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان معه عدد من الأشخاص لا يتجاوزون العشرة، لكننا الآن نجد هذه الأمّة الواسـعة الكبيرة التي تؤمن بإمامته، بالرغم من عمليات القمع والمطاردة التي مرّ بها خطّ الإمام علي عليه السلام، وهذه إحـدى العلامـات التي تـدلّ على أنّ الحـق يبقـى ويثبت ويصمـد ويتكامل ويبرز ■

(١) الغدير ج٣ص١١٣.
(٢) الكافي ج٧ ص٤٢١.
(٣) شرح إحقاق الحق ج ١٥ ص ٣٦٦.
(٤) نهج البلاغة ج٢ ص ١٨٥ ح٢٠٦.
(٥) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٧١.
(٦) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٧٥.

الأساليب الإسلامية لتقليل التفسير الخاطئ

الشيخ حسن كريم الربيعي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

عالج الإسلام كل قضايا المجتمع بوضع النظريات المختلفة ومنها النظريات التربوية التي تدعو لتماسك الهيئة الاجتماعية، فإن التفسير الخاطئ للألفاظ والحركات مما يوقع المجتمع في تصورات تنازعية وصراعات كلامية قد تؤثر على نوع العلاقات في المجتمع وفي مختلف المراحل الدراسية، وقد يشتد التفسير الخاطئ في المراحل الشبابية التي تكون الروح شرهة ومتطلعة ونازعة إلى التسلق السريع بما تمتلك من نمو وقوة وخلو من ارتباطات اجتماعية أي الفراغ مع وجود التخيل والآمال والتقلبات السريعة عند الشباب أوضح عند غيرهم وإن كان أغلب الفئات العمرية قد تتقلب عندهم الأمور وتتغير الآراء يومياً أو شهرياً أو سنوياً، وهذا التغير والتبدل حالة طبيعية في السلوك فلا تفسر تفسيراً خاطئاً، فالأصح صحة السلوك ما لم يثبت خلافه.

هذه الرؤية الإسلامية لزرع الثقة بين المسلمين فأصل التربية في الإسلام يرجع إلى ركيزة بناء الثقة المتبادلة على المرآتية بين المسلمين المسلم وأخوه المسلم

ثم البنـاء الأخوي وهو أعظـم بناء جاء به القانون الإسـلامي الذي ريما يعرف اليوم بين الشعوب بالمواطنة وحقوق المواطنين مع الفـارق المادي والروحـي، بين وضع القانون الإسلامي والقانون الوضعي وعلى هذا تكون المدرسـة الإسـلامية من أولى المـدارس التي وضعت الضوابـط الثابتة في فعل الفرد بما يصلح نفسه والجماعة، والجماعـة بما تصلح نفسـها والفرد وهو بما ينعكس كبرنامج للتعليم المسـتمد من النص القرآني المحكم والسنة الشارحة له ولا مانع من المدرسـة التجريبية أو المبدأ التجريبـي في العلوم الطبيعية والإنسـانية بل شجع الإسـلام على الاستعمال العقلي بـكل إدراكاتـه الكليـة والجزئية للكشـف عن النظريـات والابتكار واحتـرام الفكر والمساهمة الإنسانية فيه.

وربما يفسر اللفظ أو الفعل ـ وأكثر ما يقع في اللفظ ـ باتجاهين:

الاتجاه الأول: التفسير الخاطئ باللفظ.

الاتجاه الثاني: التفسير الخاطئ بالسلوك.

الاتجاه الأول
التفسير الخاطئ اللفظي

عالـج الإسـلام بنظامـه التربـوي ونظرياته بهذا الاتجـاه على حمل الألفاظ علـى ظاهرها في مقـام البيـان لا الهزل والمزاح والغلط والنسـيان وكلها رفع عنها

ترتيب الأثر بل المكـره والمضطر وعدم العلم (ما لا يعلمون) وكل ما جاء في حديث الرفـع وإن كان في بيان رفع المؤاخذة في الحكـم فهو من بـاب أولى في المدرسـة التربوية والتعليمية والعلاقات الاجتماعية والمحاورات العرفية ومنه مدرسـة تربوية إسـلامية في باب العلاقـات بين الطالب والمعلـم وفـي كل المراحل الدراسـية بل هي ثقافة إسـلامية تهدف إلى روح الألفة والمودة المتبادلة.

إن إطـلاق اللفظـة أو الكلمـة أو بيان منهـج أو عـرض أمثلـة لا تكـون مدعاة للسـخرية سـواء من المعلم أو المتعلم مع مراعاة المؤسسـة التعليميـة على بث مثل هذه الثقافة لأن الأصل في التعليم هو رفع الوعـي الفكري والعلمـي التطبيقي للطلبة وهـو جزء من هدف أسـمى من الأهداف الكبرى للأمـة حتى ترقى نحـو الحضارة والازدهار.

إن إيجـاد الأعـذار هو نوع مـن تقليل التفسـير الخاطئ في المحتـوى المعطى لبعض الأسـاتذة من قبل التلاميذ في نقل المعلومات عن مادة إلى أسـتاذ آخر أقدر منه، فـلا يترفع الأسـتاذ علـى أخيه ولا ينقض أقواله إلا بالأسلوب العلمي الرصين والأمين مع فرض الاحترام حتى لا يسقط بنظر الطلبة مما يؤثـر على تلقيهم العلوم بنسـبة أقل لانعـكاس ذلك في نفوسـهم، فالتفسير اللفظي بعدم القصدية واختلاف النيـة المعتبرة في العبـادات والمعاملات بـل القانون المدني الوضعي اسـتمد ذلك من الإسـلام وعبر عنها بالإرادة في اللفظ والسلوك.

يمكـن لنا ذكـر الألفاظ التـي قد تقع وتحتاج إلى تفسير فهي إما ظاهر وواضحة فلا تحتـاج إلى بيان وإما تحتـاج إلى بيان وتفسـير وربما تأويل إذ لـم يقصد القائل ذكـر الظاهر بل هـو يقصد سـماع الغير يعـرض مثل هـذه الكلمـات أو الأمثلة أو اسـتعمال الاتجـاه غير المباشـر وهو من الاسـتعمالات العربية حتى قبل الإسـلام فيأتي التفسـير على ضوء الرموز أو بعض الكلمات أو الاستعارات أو بعض الكنايات:

ومن هذه الألفاظ التالي:

١ـ اللفـظ الهازل الصادر من أي طرف بشـرط التزام الحدود فـي ذلك، ويحمل هذا اللفظ على الهزليـة المطلقة للأجواء ولا يترتـب عليـه أي أثر سـواء صدر من الطالـب أو الطالبـة أو صدر من الأسـتاذ ولا تعقبـه تبعات مـن الأطراف، لأن الجو التعليمي أسـري بحد ذاته، واللفظ الهازل قد يترتب عليه أثر وتبعة إذا كان المقصود منه الانتقاص من أي طرف كان، وقد يقال له المزاح أيضاً وإن كان أخص منه والمزاح صفة المسـلم لإدخال السـرور على قلب غيره معلماً أو أسـتاذاً أو عالمـاً أو متعلماً أو... أو... وعليه فإن اللفظ المفسـر بنحو خاطئ قد يسـبب الاختـلالات في العملية التربويـة وتصبـح العلاقـات مجامـلات فارغة مـن محتواها أو ما يسـمى بالنفاق الاجتماعي وهي آفة تسري في المجتمعات لا تعبر عن الـود والاحترام الواقعي بعيداً عـن الأهـداف والغايات الشـخصية التي كثيراً ما تحكم سلوكنا في الحياة.

إن الابتعـاد عـن إطـلاق الأحـكام أو تعميمهـا واحترام الآراء وعـدم الانتقاص من قائليها فالفكرة واللفظة وصياغة الجملة وإعـداد البحـث هـي جهود مـن الباحث سـواء الطالـب أو الأسـتاذ، والنقـاش وسـماع الكلمة في هذا الجو العلمي يجب

أن تكـون على ضوء البنـاء العلمي وهو ما أكده الإسـلام من حرية والفكر وأسـلوب المحاورة العلمية، فقد كان الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام في أخصـب العهود العلمية يتبادلـون المحـاورات والمناظـرات مع مختلـف الاتجاهـات والـرؤى، فالفكـر الخارجـي والدهـري والفـرق المتشـعبة والمختلفة في أصولها وفروعها تحضر في هذه المدرسة العظيمة وبكل احترام تتبادل الأفكار والرؤى، وقد تسـمع كلمة من هنا وهناك فـلا ترتب أي أثـر عليها خارجي يـؤدي إلى الصـراع أو الانفكاك من الهيئة الاجتماعية والإنسانية.

وضع الإسلام محددات للهزل والمزاح أن لا يخرج عن هذه المحددات، ونفى عن التنابز بالألقـاب وكل محاولات الانتقاص حتى لو لم يسمع المنتقص منه بل جعل ذلك من كبائر الذنوب وعادة غير أخلاقية وأيد علماء التربية من الغرب القضية الأخلاقية يقول هربـارت: (إن الهدف الأسـمى من التعليم هو الفضيلة)[1].

٢ـ الغلط والنسيان: قد يتعرض الطالب أو الأستاذ للغلط اللفظي أو النسيان لبعض الجمل أو القانون أو التصميم أو التحضير أو غيرها من الأمـور الداخلة فيهما، وهو ممـا يثيـر بعـض التفسـيرات الخاطئة، فلتقليلها حذر الإسـلام بأحكامه التمسك بهذه الهفوات الحادثة عند البشر ولا يسلم منها سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فلم يؤاخذ المسـلمين علـى الأحكام وهـي مرفوعة عنهم فما حاله في غيره، ولا يجوز أن يثير الضحـك أو السـخرية والاسـتهزاء أبداً، وهي ثقافة أدركها المجتمع الغربي فتعامل على حفظ كيان الشـخصية والتعامل معها باحترام وذوق رفيع.

واعتـذر أمير المؤمنين عليه السلام لبعض رواة الحديث الذيـن نقلوا الأحاديـث وعملوا بها وهـم علـى وهم ولـم يتعمـدوا ذلك لأنهم سـمعوا ولكن لم يحفظـوا ولم يعلم المسـلمون أنهم على وهم ولـو علموا لم يقبلـوا ولو علم هو لرفـض ذلك الحديث الموهوم[2]، والوهم: الغلط والخطأ[3].

الاتجاه الثاني
التفسير الخاطئ السلوكي

إن النظريات في المدرسة السلوكية قد تتعـارض مع ما جاء في نصوص الشـريعة وتتقاطـع مـع وجود الفطرة في الإنسـان منـذ تكونه وربما قبل ذلـك وهو في عالم الـذر وهي نظريـة وجود الروح البشـرية قبل الأجسـاد، ووجودها لا يمكن أن يخلو مـن معارف وعلوم وقابليـات مخزونة قد تستخرج أثناء اللقاء مع الجسد وتدبيره.

فقد أنكر بعض العلمـاء وجود الفطرة فـي الإنسـان وأن معارفه تأتـي من جهة التعلـم، فمن علم الطفـل منذ اليوم الأول الرضاعة من ثدي أمه ومن علم النحل البناء العجيب لخلايا العسل ومن علم النمل حفظ الحبوب وما يحتاجه بدون إفسـاد والأمثلة فـي ذلـك لا تحصى في السـماء والأرض والبحار وأسرارها.

إن إنـكار الفطـرة عند الكائـن الحي يتعـارض ويتقاطع مع النظريـة والقانون الإسـلامي بل مع الخلـق وتكوينه المدعم بمـا يوافـق أصل الخلقـة والنشـأة وغاية وهدف الخلق فالحيوان يمكن تغيير سلوكه بالتجارب ولكنه بالـذات هو مخلوق لغاية وهـدف فيتعود على سـلوك آخر بالمران والتكرار وكذا الإنسـان ويمكن الاستفادة مـن هـذه التجـارب إذا لم يجد الإنسـان

قواعد وأسس ذكرها الله عز وجل في كتبه السماوية العديدة وآخرها القرآن الكريم الذي يحمل الأسس والقواعد العامة كالنظرية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية، ولو أمعنا النظر فيه مع ما جاء في السنة الشريفة يمكن استخراج أكبر نظرية تربوية في العالم تهدف إلى تغيير سلوك الكائن البشري المتأثر بالبيئة والمناخ والحالة الاجتماعية من العادات والتقاليد والقيم مدعومة بالمعلومات المودعة في الكائن الحي وبالذات الكائن البشري أرقى الكائنات ففيه خزائن من العلوم والمعارف لذي يحفزه الله عز وجل باستخراج هذه الخزائن بعدة آيات قرآنية داعية إلى التفكر والتأمل والنظر بما حوله من المحسوسات والتأثر والتعلم من هذه المحسوسات لهدفه الأسمى في حياته هي معرفة الله عز وجل وهي أقصى المعارف التي يجب على هذا الكائن الوصول إليه لأنها الحقيقة التي يجب الوصول إليها والغاية عند أسمى الكائنات وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

إن دعوى أن الإنسان ولد وهو صندوق أجوف ـ وهي دعوى المدرسة الارتباطية السلوكية، فقد أنكر واطسون ما يسمونه بالسلوك الفطري[٤] ـ دعوى لا دليل عليها لا في الإنسان ولا في الحيوان ولا في النبات والكل يجري بقدر وعلى تفاوت في النسبة الفطرية لكل واحد منهما، فالإنسان ولد وهو مفطور على التفكير والاستغراب مما حوله يحمل الفطرة السليمة النقية من أي تعلم خارجي يغير سلوكه لذا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام يقول ولدت على الفطرة وفي روايات عديدة متفق عليها كل مولود يولد على الفطرة.

وهناك نظرية تؤيد وجود الفطرة في الإنسان ولكنه يحتاج إلى التعلم وهي تؤيد النظرية الإسلامية ولكنها تختلف عنها بالتفسير، ولا نخوض في النظريات ونؤجله إلى موضوع آخر، فإن كلامنا في التعايش الاجتماعي على نحو الود والاحترام والنية الصادقة، لذلك وضع الإسلام القاعدة المعروفة عند الفقهاء (حمل عمل المسلم على الصحة) وهي القاعدة الأولية في كيفية التعامل مع مختلف الأعمار لإطلاقها ولكنهم أثبتوا ذلك في القواعد الفقهية وهي أشمل من المعاملة المدنية لأن العمل سلوك خارجي يبدأ بفعل سلوكي يمكن تفسيره وتقويمه، وحمله على الصحة بلا قصد العدوانية

كاحمل أخاك على سبعين محملاً أي جد له الأعذار حتى لا يسقط في نظرك ونظر الناس ثم إن إيجاد الأعذار للناس من شيم أهل الإباء والحلم وهو مما يزرع الود والاحترام ويزيده وبالأخص عند نقله إلى من صدر منه السلوك وخصوصاً إذا كان قاصداً ومتعمداً بسلوكه وحمله الناس المحمل الحسن لغرض تقويمه وإصلاحه، ولكن ليس كل الأفعال تحمل هكذا، ونجد لها أعذاراً فإن الصدر اليقين بالقصدية والتعمد يؤخذ على ضوء فعله وقصده ويحاسب في القانون الإسلامية بل يردع - حفاظاً على المجتمع - أن تسود فيه الفوضى والاضطراب وضياع الحقوق.

وهناك قاعدة فقهية أخرى تسمى قاعدة السلطنة أي الناس مسلطون على أموالهم فالمسلم يتصرف في أملاكه بما يوافق مصالحه، فإذا يتصرف بما يوافق مصالحه ويخالف غيره يمكن أن يعتذر عنه بهذه القاعدة ولكن ذلك التصرف يجب أن يكون خاضعاً لحدود العقل لا السفه، فيعتذر للعاقل ولا يعتذر للسفيه.

وحتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يراعى فيه الإرشاد والتوعية وهو من الأساليب التربوية التي تهدف إلى تغيير السلوك بالتعلم والتعليم لأن الإسلام يعتمد على العملية التعليمية بأوسع نطاقها ويرى السلوك هو معيار الحقيقي للمسلم فأوجب طلب العلم بأن عليه التعلم بأوضح نظرية كانت باكورة الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (اقرأ) والقراءة تتطلب الكتابة السابقة عليها والقراءة والكتابة هما أساسا العملية التعليمية والقراءة مصدر المعرفة والكتابة السلوك الفعلي وأنها الهدف السلوكي من تعلم القراءة لأنها مهارة أو الجانب المهاري للإنسان حسب تصنيف بلوم للمعارف بثلاث مجالات:

١- المجال المعرفي (العقلي الإدراكي).
٢- المجال المهاري (النفس حركي).
٣- المجال الوجداني (العاطفي، الانفعالي).

هناك جملة من القواعد الفقهية يمكن جعلها من الأساليب الإسلامية لتقليل التفسير الخاطئ في المجتمع منها:

١- قاعدة الائتمان (عدم كون الأمين ضامناً عند تلف الأمانة).
٢- قاعدة الإتلاف.
٣- قاعدة احترام مال المسلم وعمله.
٤- قاعدة الإحسان (مساعدة المسلم بعمل وإن لم يجلب منفعة أو يدفع مفسدة).
٥- قاعدة الإسلام يجب ما قبله.
٦- قاعدة الحق لمن سبق[٥].

والعشرات مثل هذه القواعد التي هي أساليب تحدد التفسيرات وتقلل من التفسير الخاطئ بذكر القاعدة وعلى ضوء العمل ■

---

(١) شفشق، محمود عبد الرزاق، الأصول الفلسفية للتربية، (الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٨٠م)، ص٣١٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، صبحي الصالح ج١١ ص٣٨.
(٣) الصحاح مادة: وهم.
(٤) الرحيم، أحمد حسن، محاضرات في علم النفس، ص٥٦.
(٥) للمزيد ينظر: المصطفوي، محمد كاظم، القواعد مائة قاعدة فقهية معنى ومدركاً وموارداً، (قم: جماعة المدرسين، ١٤٢٧هـ)، فقيه ١٠٠ قاعدة.

الخط العربي والعمارة الإسلامية

بين البعد التشكيلي والعمق الروحي

• **د. عبد الله سعدون المعموري**
قسم الهندسة المعمارية/ الجامعة التكنولوجية

• **م. محاسن هادي خلف**
استشاري وباحث/ وزارة الإعمار والإسكان

قال الإمام علي عليه السلام: «الخطُ الْحَسِن يُزيدُ الحقَ وضوحاً»

ينابيع ارتبط البعد الجمالي والتشكيلي للعمارة الإسلامية إضافة إلى خصائصها الوظيفية والفنية بالتشكيلات الرمزية للخط العربي المرتبط بعدة معاني متجسدة بالقرآن الكريم، فتكاد لا تخلو العمارة الإسلامية من الخط العربي كأحد معالمها البارزة التي تنطوي في ثناياها القدسية والجلال مضيفاً عليها بعداً روحياً، فقد جسّد الخطاط العربي النسبة والتناسب وفن استلهام الطبيعة دون تقليدها وجوهرها الهندسي والإيقاعي حسب النسب الفاضلة والقياسات السليمة بصورة جلية وتمثل النقطة الوحدة النموذجية القياسية له، فلم يبتعد الخط عن العمارة في معنى إدراك أهمية محاكاة الطبيعة وتناسب وحدات المبنى بشكل يحقق ارتباطه الواضح بقيم عليا مطلقة، وقد

امتلك الخط العربي قدسيته من خلال ارتباطه بالمتعالي فليس بغائب عن الذهن محافظة اللغة العربية بحروفها وتراكيبها ومفرداتها على شبابها رغم شيخوخة اللغات الأخرى فهي وإن طُمس استعمال أحد مفرداتها فليس عسيراً على الفرد العربي استنباط معناها من أصل اللغة وروحها الكامنة فيه، من هذا التحديد يمكننا القيام بمحاولة متواضعة لقراءة الخصائص التشكيلية والروحية للخط العربي والعمارة الإسلامية وارتباطهما من الداخل وما يقف خلفه من قيم فكرية وحضارية عبر ثلاث محاور.

المحور الأول: البعد التشكيلي للخط العربي في العمارة الاسلامية

يعد الحرف العربى، واحدا من أهم العناصر التشكيلية للفن العربى، واتفق مع توجهات الكثير من الفنانين فى بحثهم عن هوية تشكيلية عبر صراع الحضارات التي تفرضه آليات العصر وتنامي النزاعات الثقافية المختلفة، وإن كان هذا التوجه قد اتخذ عدة مسارات؛ أولها أنه دعا الى المحافظة على أصالة الخط وقواعده وأيضا قياساته، فانتقدوا الخطاط واللوحة الخطية، وهو المسار الذى أكد على أن أي

خـروج على هذه التراثية سـيفقد الحرف الجـلال والرصانـة، والعمـق الروحـي، الذى تآلف مع أعمـال خطاطينا القدامى. أمـا المسـار الثانـي محاولـة الموائمة ما بيـن التقاليد العميقة للخـط العربى وبين تجريدية الخلفيات التشـكيلية فى اطار من التوليف يجمع بيـن الزخرفة والخط على حد سـواء، أن الحرف العربى لم يكشـف عن مكنوناته سـواء الجمالية أو التعبيرية، وسـيظل مصدرا للإلهـام، خاصة فى ظل غيـاب جهد تنظيري يواكـب حركة احيائه دون الابتعـاد عـن خصائصـه التشـكيلية والتنظيمية وعلاقته بالعمارة الإسلامية.

تهـدف الدراسـة إلى تحليـل التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم؛ الوحـدة، التـوازن، التوافق، التألـف، والوحدة والتنوع، وقدسية الحرف العربي والتدرج في الخطوط العربية لتكون تجريداً وتجسـيداً في الوقت نفسـه ومن الفنون التشـكيلية ذات البعديـن أوالأبعاد الثلاثة. فالتكويـن الخطي يعطي نصف المعلومات للمتلقـي، أما النصـف المتمم فيبحث عن المعنى محاولاً القراءة والتأويل والتخيل في الشـكل العام للتكوين أشياء ليولد قراءات قـد تبتعد تماماً عما تخيل الخطاط. آنذاك يضع حقيقته في العمل الفني كأنه مسـاهم في عمل التكوين. فظهرت تكوينات تتسم بالجـرأة فـي المعالم المعمارية في آسـيا الوسطى ثم إيران والعراق ومصر لا يمكن قراءتها من قبل المتلقي، الهدف منها متعة العين والتعمق في التأملات.

تلغي تكوينات الخط الكوفي الهندسي التـي عملت مـن الطابـوق أهم مـا كان معروفاًفي الخط العربي، ألا وهو النحافة والسمك داخل كل حرف، هنا الحرف يكتب بالطابـوق فقـط وكذلك الفـراغ المحيط بالحرف يكون بسـمك الطابوق أيضاً. إنه تشـكيل جديد للخط أدخلـه معماريو تلك المرحلة فـي معظم المعالم المعمارية دون فقدان الخصائص التشكيلية والتظيمية له، وبهـذا تكون الكتابـة بالطابوق قد وضعت حلـول عديدة للمسـاحات التشـكيلية في العمارة، وبعد ذلك واصل الخطاط إبداعه فأعطى حيوية أكبـر للخطوط على معظم العناصـر المعمارية كالقبة والمنارة فجعلها تنزل مائلة بشكل حلزوني وحتى المربعات المخطوطة أخذت فيما بعد أشكال مفروكة بالارتـكاز على نقطة واحـدة، وهكذا فإن خط المصاحف بقي فـي المصاحف، أما العمارة فأنها وجدت ما يلائمها.

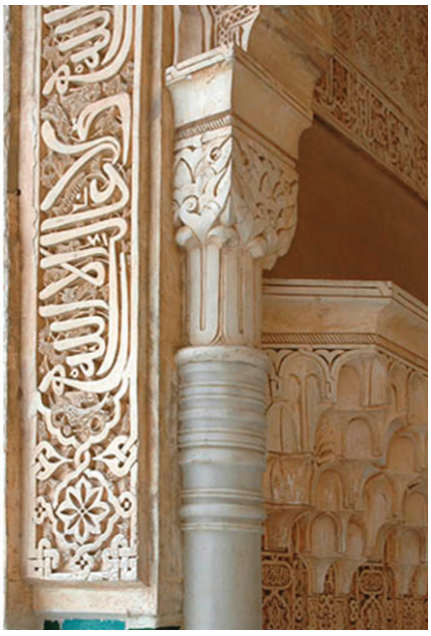

يعد التكوين الشكلي للخط العربي حاملاً لقيم صوتية كما إن صياغته في الواقع تضيف إلى هذه القيمة الصوتية قيم فكرية وحضارية وأخلاقية وفلسفية، فإذا أخذنا على سبيل لمثال الحرف أ، كتعبير لصوت معين، فإن وقوفه واستناده على السطر عموديا دون سائر الحروف، بالإضافة إلى وجوده في مقدمة الكلمة يضفي عليه خصائص وجدانية، كأن يكون هو الدعامة الأساسية في بناء الأحرف كلها يماثل العمود في العمارة، لذا نجد أن هذا الحرف يتكرر كثيرا في الخط العربي، مثلاً: (**لا إله إلا الله**)، يمثل الجزء الأكبر منها هو ألف إذا اعتبرنا أن الألف يدخل أيضا في تركيب حرف اللام، بنسقها العمودي والمتنزل من الأعلى، الذي لا يحتاج إلى الامتداد إلى الآخرين، المتنزه، السماوي، الآتي من الغيب، المتفضل على من سواه. وإن إستخدام النقطة كوحدة قياس يلخص فكرة الفن الاسلامي الذي بهجره التشخيصية يهجررسم الآدمي، ويسعى الى قياس المجرد المحض، الكلمة الالهية، السامي والرفيع، الروحي والمقدس.

يؤكد اليوم المزيد من الباحثين الأوربيين ان دور الخطاط العربي كان يماثل دور الرسام الأوربي ولكن برؤية مختلفة للعالم، وأن هذا الفن كان يناظر

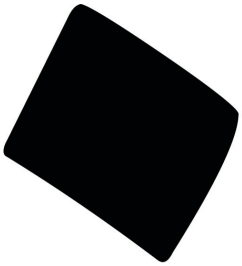

شكل النقطة (المعين) لدى الخطاطين

في الحقيقة فن الرسم، بالمعاني الممنوحة لمفردة (رسم) في القاموس الغربي، تناظر يمكن إقامته حتى في الأمور التقنية والحرفية عند الغربين والعرب المسلمين، فقد كان الفنان المسلم يستخدم القصبة بدل فرشاة الرسام الغربي، والمحبرة بدلاً من الباليته، والحرف والشكل الهندسي بدلاً عن الجسد والرؤية الدنيوية المهيمنة على الرسم الغربي، ففي الفن الاسلامي رؤية قدسية أو دينية بالمعنى العميق للكلمة، فقد كان التشخيص يهيمن في أوربا بشكل مطلق وكان يهيمن التجريد هنا بشكل شبه مطلق حتى الفراغ نفسه في الفن الاسلامي كان ينبغي عليه الامتلاء بحضور المقدس، إن لم يكن هو نفسه تعبيراً عن المقدس، ويعبر عنه تجريديا، بتكرارات شكلية لانهائية مستوحاة من لانهائية المقدس.

المحور الثاني: العمق الروحي في الخط العربي

يصف القدماء الخط على أنه هندسة روحانية بآلة جسمانية أو الروح في الجسد، وكان لإرتباطه الوثيق بالقرآن الكريم منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أضفى عليه قدسية حسية ومهابة وجلالاً. كما ارتبط بقواعد صارمة اكتسبت صفة الثبات عبر مدة زمنية امتدت منذ عصر الرسالة إلى عصرنا الحالي، وعدت هذه القواعد المنطق الجمالي له والخروج على هذه القواعد هو انهيار لمنطقه الجمالي فالإبداع والخلق يتم في أجواء من القيم الروحانية والاخلاقية بتأثير متبادل بين الخطاط والمجتمع فالفن هو تكثيف للطاقات التي تنمي الذائقة الجمالية للمجتمع ليتحول في عين المتلقي إلى طاقة إيجابية.

استلهم الخط العربي الطبيعة دون تقليدها بالولوج إلى جوهرها الهندسي والإيقاعي حسب النسب الفاضلة والقياسات السليمة، وتتأثر الخطوط بمظاهر العمارة. فالحروف العربية ليست ثابتة الأشكال في الخط، بل تتطلب تحولاً جديداً في كل مرة تتغير فيها الكلمات، فلابد من استعداد فطري، ومقدرة يدوية على رسم الحروف. أن المنفعة تعانق

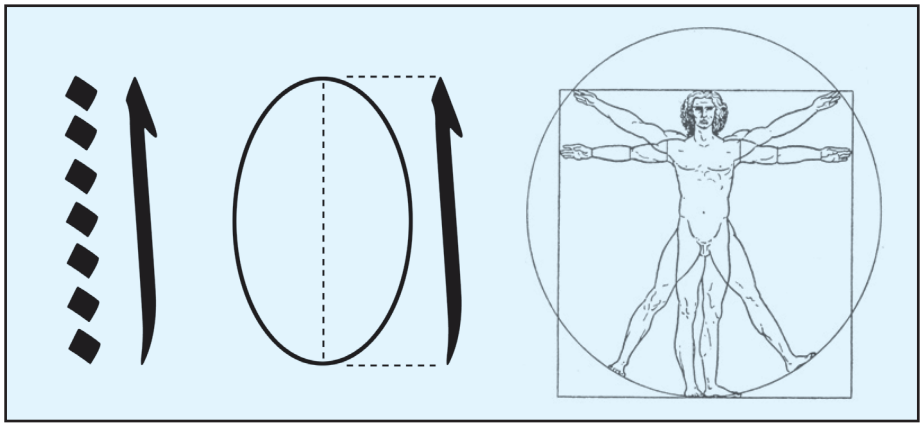

نسب المقياس الإنساني لـ(فتروفيوس) مقارنة مع دائرة قياس توازنات الحروف العربية

الجمـــال في كل صور الفنون الإســـلامية، فلم ينفصل تـــذوق الجمال فيها عن تحقيق كثيـــر من الفوائـــد والمنافـــع والوظائف، فارتبط الجمـــال بتحقيق نـــوع من الكمال مرتبطاً ارتباطاً وظيفيـــاً بتحقيق الوظائف والغايات العملية في آن واحد، ولذلك فلم يواجه الفن الإســـلامي مشـــكلة الانفصال بين الشكل والمضمون أو الصورة والمادة، وهذا الفن يقف في منتصف الطريق تماماً بيـــن الإدراك الوجداني الحســـي، والفهم العقلـــي المجرد. ويمثل الجســـد البشـــري نموذجاً للقياس، إذ أنه بذراعين أو ساقين ممدودين يمثل شكلين هندسيين متكاملين وهما المربع والدائرة.

يحقـــق كل نـــوع مـــن أنـــواع الخطوط العربيـــة فكرة تتوافق ومكوناته، فيســـاهم في بناء الشـــكل المشهدي اضافة الى دوره اللغـــوي، فيُختـــزل الخط لصالـــح المعنى الفني. فالفكرة في الخط العربي لا تسعى الى التجسيم والمحاكاة كما في الفن الغربي بل تســـتلهم عناصر فنون الخط والزخرفة بكل مكوناتها ســـواء في التشكيل والتنظيم من حيـــث التكرار والايقـــاع والتناوب، او من حيث احتوائها علـــى الزخارف النباتية والهندسية والكتابية المنفذة بمواد والوان مختلفة تشـــكل بمجموعها أحدى خصائص العمارة الاســـلامية. فالفكـــرة وهي تتحول الى كتلة بواســـطة الخط تضيف الى القيمة البصرية قيمة روحية، ولكل خط خصائص شـــكلية ودور وحاجة ومعنـــى، فالخطوط التـــي تأخذ شـــكلاً افقياً تتســـم بحالة من الســـكون العميق والاستقرار وتشكل الحد بين السماء والارض بين الروح والمادة. اما الخطوط العمودية فتثير احساســـاً بالرفعة والتماســـك وتعطي احساســـاً باللاواقعية في الاحســـاس عنـــد توازنها في الســـطر. اما الخطوط المنحنية فتســـعى الى احداث تأثيـــر انفعالي بطريقة اندفاعية وســـريعة. فالخطوط التي تستخدم في موقعها بذائقة فنية راقية تضفي علـــى العمل الفني قدرة اضافيـــة للتعبيـــر، كحـــروف وكلغـــة. فكل كتابة ترتبـــط ارتباطاً وثيقـــاً بكل مكونات اللوحـــة وعناصرها، من اجل زيادة التعبير في الشـــكل واللون فضلاً عـــن المضمون.

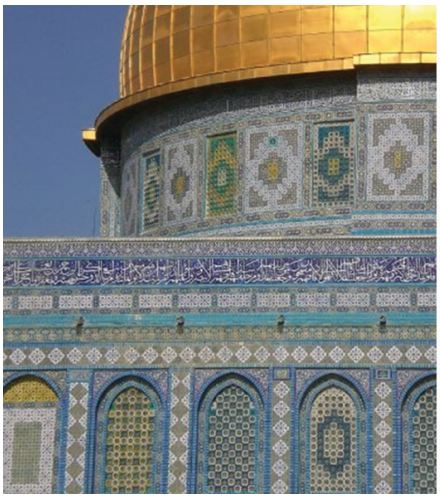

فالخط العربي ليس رديفاً للتصوير بل منطلقاً لسبر اغوار الكون ليستكشف المعمار المسلم من تشكيلاته أبعاداً غير المحددة بالزمان والمكان (فِي يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)[1]، وكذلك في العمارة من خلال اعتماد قيم مفاهيمية تمكن من تأويل المباني كتكرار للظواهر الكونية وتكرار لأنماط عليا « إلهية « من خلال مفهوم التعالي المطلق، ويتبنى هذا التوجه فكرة وجود عالم فوقي « إلهي « ومقدس، والتواصل مع هذا العالم غير المرئي يكون بقيم اخلاقية مرتبطة بالمثل الأعلى.

يعبر الحرف العربي عن العلاقة الوثيقة بين الأفراد ككتلة جماعية قائمة على الحوار مع الآخر ومشاركته وجدانيا، حيث يصعب أن نجد مفهوما للفردانية في المجتمعات العربية، وهو ما عبر عنه الحرف اصدق تعبير، فحرف « ن « مثلاً بشكله المنحني المعبر عن الرغبة في الاحتواء مع الاحتفاظ بالخصوصية، فالنقطة الوحيدة التي تقوم عليه من دون أن تسقط فيه أو تلتصق به تعبر بشكل فلسفي عن الكونية التي لا تلتصق فيها الكواكب ببعضها، أو بالأرضية التي يؤدي وجودها إلى الإحساس بالنقص والحاجة إلى الإسناد، وإنما تبقى معلقة في السماء سابحة في الفلك اللامرئي، وقد أقسم الله جل جلاله بهذا الحرف لقيمته الكبرى في قوله تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)[2]، راسما النون بالشكل وليس بالصوت، وإذن فقد شبه الله تعالى احتضانه لنبيه بهذا الحرف بالذات، بما يعبر عنه من حنان ودفء، ورغبة في العودة إلى الأصل، وهكذا نجد معظم الحروف ذات الإنحناء تحاول ضم الأحاسيس أو استدعائها، حيث نقوم بملأ الفراغات التي تتركها عن طريق الانحناء، وحروف الهاء والقاف، والميم، والحاء، والراء، والواو، تترك فراغاً سواء كان مغلقاً أو مفتوحاً، واحداً أم متعدداً، بما يتيح الشعور بالتنوع أيضا. وإن الميلان يعبر عن الإحساس بالحرية في الفضاء اللامتناهي الحامل لقيم أخلاقية دافئة لا وجود للسقوط أو للاصطدام الحاد فيها، وإنما للقدرة الفائقة على التكيف والتناغم مع الآخر وعدم الصراع معه، وهو ما يقوم به الخط العربي بصورة معجزة حق، وهذا ما لا نجده في الخط اللاتيني مثلا، حيث تمثل الزاوية الحادة بعدا أساسيا فيه بما ينبئ عن قيم مختلفة تماما، كالصراع والانقطاع، وبهذا يمكن للخط العربي أن يلعب دورا كبيرا حتى في حقول معرفية أخرى كالفلسفة والفن والعمارة وفي مجال العلاج النفسي للتوترات والأمراض النفسية لما فيه من قيم الدفء والتواصل، وذلك بممارسة ما يمكن تسميته بالخط الروحي الذي يتيح الشعور بالحرية والانتماء إلى الكون، وليس الانقطاع الذي يتسبب في معظم الأمراض النفسية.

حظي الحرف العربي بحصانة إلهية عظيمة تتمثل في القرآن الكريم إذ لا يمكن أن يندثر هذا الحرف أو يتبدل أو تتغير قيمته وقوة تعبيره وقدسية استخدامه، حيث أصبح رمزاً وعلامة ثابتة في جبين الحضارة الإسلامية موجداً لها موقعاً عظيماً من بين بقية الثقافات، حينما نجد ثقافة الصورة في الحضارة الأوروبية وثقافة العلامة في الحضارة الهندية والصينية، وثقافة الخيال في الحضارة الإفريقية بأساطيرها، فوجد الفنان العربي في الخط وفنونه

مصدرإلهام ومرجعية متجددة، ولم يتوقف الخطاطون عند الكتابة وفنونها فقط بقدر مـا أوجـدوا للنصـوص دلالات أصبحت أنماطـاً لتزيين العمارة وزخرفتها، جامعين فيها بين الخط كهدف للمعنى وبين الشكل الزخرفي متحررين من خلالها من مسـار الحرف المخطوط، مع ما يشتمل عليه من إيقـاع وحجم معاً إلـى تحقيق رغبة جمالية متكاملـة البناء، كمـا قال عنها فرانسـوا شـانغ: (إن سـطوة فن الخط الرائعة تبرز على مسـتويين، فهو يقـوم بتحويل اللغة إلـى مرحلة من الخيال الشـعري كما يقوم في الوقت نفسـه بإعادة تشـكيل وصياغة الفضاء المجرد إلى أشكال زخرفية).

المحور الثالث: الخصائص المشتركة بين الخط العربي والعمارة الاسلامية

يشـترك الخـط العربـي مـع العمارة الاسلامية بمجموعة من الخصائص الشكلية والتنظيميـة ويبتعـد عنها فـي الخصائص الوظيفيـة والتنطيـق الفضائـي ومحاور الحركة، حيث لـكل منهما وظيفته الأدائية الخاصـة بـه فضلاً عـن الأبعـاد الرمزية والمعنوية، وتتمثل في الخصائص التالية:

- خاصية التشكيل

تأثرت التكوينات الخطية سابقاً بشكل المعالم المعمارية، فقد كان المعماري يعمل مع الخطـاط، في كيفية وضـع الخطوط علـى الجدران وبهذا تعلـم الخطاط كثيراً من المعماري في هندسته للأشكال وكيفية املاء الفضاء والصعود عالياً بالحروف مع مراعاة قانون الجاذبية، وبهذا عمل الخطاط تكوينات للمـكان المطلـوب على جدران البناية تشغل المساحة المخصصة لها، ومن الخطاطيـن اللذين عملوا مـع المعماريين الخطاط راقم[٣] الذي كان له جرأة كبيرة في كسر العبارة وإعادة تركيبها حسب تخيلاته. ومن تكويناته المشـهورة (**لا حول ولا قوة الا بالله**) فقد وضع في وسط هذا التكوين الثلاث لاءات المتباعـدة في العبارة ولكنه لصق بعضهـا ببعض، ثم عمـل ألف ولام على اليمين وألف وباء على اليسار، العبارة

فيهـا ألف منفـردة واحدة، بينمـا تكوينه احتاج إلـى اثنيـن فأضاف عبـارة أخرى هي (**العلـي العظيم**) فـي الأعلى وخطها بشكل صغير جداً، ولكنه اقترض منها ألفاً ليسـتعملها في تكوينه للحـروف الكبيرة.

وتـرك لنا الخطاطـون القدماء الكثير مـن التكوينات فـي المعالـم المعمارية، ففـي حدائق قصر الحمـراء خط صغير كُتبتْ فيـه: (**لا غالب إلا الله**) وقد أضاف الخطـاط فـي الأعلـى امتـداد للحروف وزخارف تشـابه الحروف بما يعادل ثلاث مرات حجم التكوين.

لـم تعـد الكلمـات تكتب على شـكل سـطور فـي بعـض التكوينات، بل على شكل هياكل وكتل تصعد للأعلى كالتماثيل التجريدية في الفضاء، فأخذت الحروف تتشـابك فيمـا بينها تشـابكاً مدروسـاً للحـروف وللفـراغ المحيط بهـا. وجاء فـي مقدمة ابـن خلـدون: (إن الخط هو مـن جملة الصنائع المدنية المعاشـة فهو لذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان وحيـث أن الخـط والكتابة همـا المرتبة الثانية مـن مراتب الدلالـة اللغوية فإنها بذلك تكـون تابعة في نموهـا وتطورها لتقدم العمران شـأن كثير من الصناعات المختلفـة ولهذا السـبب نجـد أن الخط والكتابـة ينعدمـان فـي القـرى والبدو البعيدين عن المدنية، وتكتسب بالتحضّر والمدنيـة والعمـران) ليعكـس الوجـود الحضاري للخط، ويأتي التوافق والتآلف عند الخطاطين القدماء من النسـب التي تخـط بهـا الحـروف وقد ذكـر (أخوان الصفا) في القرن العاشر: (أصل الحروف والكتابات كلها هو الخط المستقيم الذي هـو قطـر الدائـرة، والخـط المقوس الذي هـو محيطهـا، وأجـود الخطوط

وأصح الكتابات وأحسن المؤلفات ما كان مقادير حروفها بعضها من بعض على النسبة الأفضل، فينبغي لمن يريد أن يكون خطه جيداً وكتابته صحيحة أن يجعل لها أصلاً يبني عليه حروفه، وقانون يقيس عليه خطوطه والمثال: أن يخط الآلف بأي قدر شاء ويجعل غلظه مناسباً لطوله، وهو الثمن وأسفله أدق من أعلاه، ثم يجعل الألف قطر الدائرة، ثم يبني عليه سائر الحروف) و(النسب الفاضلة) هي أفضل العلاقات بين طول وعرض الأشكال. وقد تم الاتفاق عليها منذ القدم ما بين الفنانين والمعماريين والشعراء والموسيقيين عبر دراسات لنسب كل ما هو في الطبيعة من حيوانات ونباتات وبالتالي ترجمت هذه النسب إلى حسابات رياضية.

- خاصية التشكيل الجمالي:

يمتلك الخط العربي مقومات الفنون التشكيلية، ابتداء بشكله التجريدي وانطلاقاً من ابتعاده عن التشخيص والمحاكاة، والعلاقات الشائكة بين الجوانب المشتركة للخط العربي بتحليل التكوين الفني وفق أسس التصميم؛ الوحدة، التوازن، التوافق، التضاد، والتدرج، والاستفادة من نتائج هذا التحليل في بناء أعمال فنية تشكيلية، تبرز المزيد من الجوانب الجمالية والتعبيرية للخط العربي مما ينقله من عالم التدوين كفن تطبيقي يؤدي وظيفة معينة لها علاقة بخدمة الإنسان، إلى فن من أجل حيوية التعبير، أي نقله من موقعه الذي يتوسط الفنون التطبيقية والفنون الجميلة إلى الفنون الجميلة، مما يغني الفنانين في فنون الرسم والنحت والعمارة وغيرها، يضع خصائص مشتركة بين الخط والعمارة، فقد ارتبط الخط العربي على مدى التاريخ بعلم الهندسة، وأوجد هذا الارتباط علاقة تناسبية بين الحروف وأجزائها، عبّرت عن العلاقة الجمالية والوظيفية بينهما، وكان لهذه العلاقة تأثير في اعتماد مقاييس معينة للحروف من حيث الأبعاد والانتظام والتسلسل. وهذا الارتباط حفز مخيلة البنائين العرب على الإبداع في فن العمارة فقد استخدموا مخيلة الحرف وبعده الفني أساساً معمارياً انتج انماطاً من العمارة المتدرجة والمتوحدة والمنبسطة والمنسطحة والمنكبة والمستديرة وغيرها من الأشكال على المساحة المكانية من الأندلس الى أقاصي الصين، وعلى المسافة الزمنية لخمسة عشر قرناً، نجدها واضحة في قبب ومآذن الجوامع التي تشترك إضافة إلى الحروف العربية القرآنية المنقوشة بأنماط وأشكال تؤالف في انسيابها البناء، ليشقا معاً السماء دعوة الى الله.

- خاصية الأداء الوظيفي:

اقترن التصميم سواء في العمارة والخط العربي القيم المادية الصناعية عموما، ولكن القيم المادية في التصميم لا تشبه تلك القيم المادية التي تمتاز بها الأعمال الفنية العظيمة فضلاً عن قيمتها المعنوية. وإنما القيمة المادية في التصميم تبرز من خلال القدرة الأدائية والوظيفية والنفعية وهذه الخصائص والمميزات هي التي تحدد القيم المادية في فن التصميم. هكذا تسعى التصاميم في الغالب إلى تحقيق أعلى قدرة أدائية ووظيفية ونفعية

مقابل ارتفاع قيمتها المادية وإشباع حاجات الإنسان الأساسية، ولا يعني ذلك خلو التصاميم من القيم الجمالية المعنوية فالعديد من الرموز والدلالات التاريخية والتراثية تعد من المعاني الخلاقة التي تمثل الأصالة والخبرة التي تستند إلى الماضي العريق والذي تفخر به الشعوب كرموز تحدد انتمائها كما هو الأمر في العمارة فالعديد من التصاميم اليوم تستذكر وبتقنيات عالية جزءاً كبيراً من تراث شعوبها الخالد باستعارة العديد من رموزه في العمارة. والتصميم يؤدي ذلك الدور أسوة بكل الفنون البصرية والجميلة لأن كيانه المادي في الشكل يتكون من ذات العناصر والأسس والعلاقات والقواعد التنظيمية والمكونات التي تتكون منها بقية الفنون، ولكن الاشتراطات الإضافية للتصميم عن بقية الفنون تجعل من أدائه الوظيفي ضرورة لا يمكن التخلي عنها لصالح الجمال أو لصالح إي شئ أخر.

- خاصية التناسب والاتزان:

اعتمدت المنظومات التناسبية في كل من العمارة الاسلامية والخط العربي علاقات هندسية تعبر عن حضور الانتظام والتوازن والوحدة بين الأجزاء. وقد ارتبطت بمتغير التناسب والاتزان والذي دفعته للجوء الى التناسب الناتج من استخدام وحدات نسبية ومألوفة مشتقة من أبعاد جسم الإنسان وباعتبار أن الطبيعة بلغت حد الكمال في جسم الإنسان وهناك نسب مدهشة للأبعاد المكافئة، مثل اليد التي تغطي الوجه بالضبط والقدم الذي يمثل واحد الى ستة من الجزء الأعلى من الجسم وعرض اليد الذي يقيس أربعة أصابع إبهام ولم يقتصر الهدف على تحقيق ضرورات وظيفية، وإنما توفير نسب عقلانية وجمالية للنتاج. ولقد أكد (فيتروفيس) على أن أحد الحقائق التي اعتمدت في المنظومات التناسبية لدى الإغريق هي المماثلة مع جسم الإنسان وأوصى بتبنيها في حقل العمارة، إلا أنه لم يضع صيغة ثابتة ومحددة، كذلك في عصر النهضة، تم دراسة جسم الإنسان واعتمد في نظريتهم التناسبية إيماناً منهم بأن جسم الإنسان هو من صنع الإله مهندس الكون الأعظم وعليه ترتبط هذه التناسبات (العلاقات الهندسية والعددية لجسم الإنسان) بمبادئ النظام الكوني وتتماثل مع الخط والعمارة.

- خاصية القدسية والجلال:

تأثرت التكوينات الشكلية للخط العربي والعمارة الإسلامية بجدلية العلاقة بين القدسية والجلال فما يحمل صفة المقدس يتضمن بين ثناياه الجلال والسمو، فالجليل Sublime: ما جاوز الحد في الروعة في مجال الفن أو في الأخلاق أو في الفكر. وهو وثيق الصلة بالجميل وكأنه جمال قاهر، وأكد هذه الصلة كثيرون من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين. وأن الجميل Beautiful صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضاً،وهو محدود متناه والجليل غير محدود وغير متناه، وبشكل عام فاذا كان الجميل يبعث البهجة والرضا، فالجليل (المقدس) يبعث في النفس الخشية والدهشة والذهول والرهبة، كما أنه يرتبط بمفهوم السمو ومفهوم العظمة، والمقصود بالعظمة معنوياً الكبرياء والجبروت، أما مادياً فهي ما

غَلُظ وضَخُم من الأجسام.

- خاصية التميز والتفرد:

ترتبط هذه الخاصية بدرجة التفرد في التعامل مع الخصائص الشكلية والتنظيمية للنتاج سواءً كان عمارة أو تشكيلاً خطياً، وترتبط هذه الخاصية بمجموعة مفردات ثانوية كالتناقض والإزاحة وخرق القواعد التركيبية المألوفة باتجاه تحقيق الخصوصية المبدعة.

- خاصية الوحدة والتنوع:

وترتبط هذه الخاصية بدرجة التنوع ضمن الوحدة في التعامل مع الخصائص الشكيلية والتنظيمية ضمن وحدة كلية شمولية في إطار التعدد والترابط والتكامل في العلاقات.

- خاصية التآلف:

وتوصف بمدى ارتباط الخصائص الشكلية للنتاج بمرجعية مألوفة بالنسبة للمتلقي من خلال استخدام المفردات الشكلية المألوفة ومن ثم دمجها في سياقات جديدة وتحولات غير متوقعة مما يؤدي إلى جذب المتلقي إلى ما يألفه ومن ثم محاولة فهم واستيعاب الهدف وراء التغيير الذي أجري عليه، الا أن تأثيرها يعد قليلاً مقارنة ببقية الخواص ■

---

(١) سورة السجدة / الآية ٥.
(٢) سورة القلم / الآية ١
(٣) وُلد مصطفى راقم في استنطبول عام ١٧٥٧م وتوفى عام ١٨٢٦م وترك لنا الكثير من التكوينات التي تتميز بالأناقة والكمال.

الفكر الأنسني وتداعيات المستقبل

حسنين جابر الحلو •

ينابيع

لقد وجد الإنسان على وجه المعمورة حتى يكون داخل المجتمع الإنساني ويعمل لأجل الوصول إلى غاياته وأهدافه ونجد من أبرز النماذج التفسيرية لعملية التناسل وتحديد النوع، ما وضحه أرسطو لنا عن طريق النموذج الفلسفي المدعم بالأسانيد العقلانية، حيث تتفق فيه العديد من الأفكار الفطرية للشعوب البدائية حول هذا الموضوع. إضافة إلى أن نمط التفكير الأرسطي ليس في واقع الأمر غريبا عن خطابنا الحديث، لاسيما العلمي منه، فمازلنا حتى الآن نجهل على وجه اليقين مكمن القدرة على تحديد النوع، فلذلك اتضح أن الإنسان هو أعلى قيمة في كونه يعمل على تكاثر المجتمع الإنساني وتشعب مفاهيم الحركة. والأنسنية كحركة أعادت تقييم الأوضاع السائدة في القدم، ثم لم تلبث أن تحدت المعنى الذي خلعه على الوجود زعماء اللاهوت في ذلك العصر. وكانت الانطلاقة الأولى في الحركة ظهور جماعة من المفكرين الأنسنيين، أعلنوا توضيحاً للحياة يتفق مع المفاهيم الإنسانية. إذ مضت تلك الجماعة الأنسنية قُدما في تحدي الازدراء الذي نظر به الغير إلى عالمنا، وأكدت جزماً أن الأرض مقام جميل طيب، وأن الوجود الإنساني هبة ثمينة للغاية، وأنه ليس أمراً عرضياً وبغيضاً كما يُروج لذلك الآخر. ولما كان للقدامى نفس الوضع، فإن الأنسنيين التجئوا لدعم منطقهم الجريء إلى نفوذ الإغريق واللاتين، ومن ثم اتخذت الحركة الأنسنية من زاوية تلك الحاجة شكل إحياء التراث

القديـم. ويمكـن اعتبار أولئك الأنسـنيين الثائريـن، ابتداء من بتراركـه، جماعة من المجدديـن، اتصفوا بـالإدراك والتبصر، ونجحوا على تردد بعضهم في سـحق قيود القـرون السـالفة، لذلك كانت الأنسـنية نهج يحترم الإنسـان وينزله المنزلة اللائقة بـه، فهى تقول بالانسـان كأعلـى قيمة في الوجـود، كما أنهـا تهدف إلـى التمحيص النقدي للأشياء بما هي نتاج للعمل البشري وللطاقات البشـرية، تحسـباً لسوء القراءة وسـوء التأويل البشـريين للماضي الجمعي كما للحاضر الجمعي. ففي رحاب الأنسنية لا يوجد سوء تأويل لا يمكن مراجعته وتحسينه وقلبـه رأسـا على عقـب، ولا يوجد كذلك تاريخ لا يمكن استعادته، إلى حد ما، وفهمه بشـغف بكل ما فيه من عذابات وإنجازات.

ولو طرح سـؤال هنا: ما هي الأنسنية؟ فيجدر الجواب على أنها تعد الإنسان أنسنياً (ذاتا أنسـنية) طالما أدرك الأنسنية وسعى لتبصير الغير بها، ولم يستأثر بها لنفسه أو لفريق بعينه، وكذا يُعد الإنسان ذاتاً حتى لو جهل الأنسنية، ولم يُدرك كنهها، أو أعرض عنها، لكنه في تلك الحالة يكون ذاتاً مغتربة ثقافياً وقد نجدها تخرق المفهوم القائل بأن تبجيل ما هو تراثي أو إتباعي يتعارض حتما مع التجديد المستمر للمعطيات المعاصرة. وإذا اتخذنا التاريخ كمثال، نجد أن الأنسنيين يرونه مساراً غير محسوم، قيد التكوين، لا يزال مفتوحاً على حضور الناشئ والمتمرد وغير المستكشـف وغير المقدر حق قدره وما يطرحه من تحديات. كما أنهم يرون أن الإنسان هو صانع التاريخ، لذلك كان لزاماً على الإنسـان العربي أن يجد نفسـه وسط تحديات الأنسـنة لأن فرصته ليسـت أقل من فـرص غيره من إخوته فى الإنسـانية، فالعقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس. وعليه يصير مقبولاً، ويجب أن لا نفرق بين العقل العربـي وبين غيره من عقول الغرب وذلك كونه حامل رسـالة الإنسانية السامية من السماء ■

النباتات الطبية.. أسرار وخفايا

الريحـــان

د. باقر جلاب هادي الربيعي ●
كلية الزراعة/ جامعة المثنى

ينابيع

لقد أسبغ الله عز وجل نعمهُ ظاهرةً وباطنة على بني البشر وصدق الواحد الأحد حينما قال: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها). لقد حرّم الله سبحانه وتعالى على بني البشر ثلاث هنّ: الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير، وأثبت العلم الحديث بعد تجارب عديدة وسنوات من البحث العلمي اللا منتهي أن لهذه المواد مخاطر جمة على بني الأنسان وباختصار فإن الميتة لا يدمنها أحد إلا ضعف بدنه ونحل جسمه وذهبت قوّته وانقطع نسله ولا يموت آكل الميتة إلا فجأة.

وأما الدم.. فإنه يورث آكله الماء الأصفر ويبخر الفم ويسيء الخلق ويورث القسوة للقلب وقلة الرأفة والرحمة حتى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالديه ولا يؤمن على حميمه ولا يؤمن على من يصحبه، لأن الدم يحمل سموماً وفضلات كثيرة ومركبات ضارة وذلك لأنها أحدى أهم وظائفه، والدم وسط ملائم لنمو أنواع كثيرة من الجراثيم وقد استفيد من هذه الخاصية في استخدامه لصنع مزارع جرثومية..

وأما لحم الخنزير فإن الله تبارك وتعالى مسخ قوماً في صور شتى شبه الخنزير والدب والقردة وما كان من

الأمســـاخ نهي عنه إضافة لعديد الأمراض التي يســـببها تناول لحم الخنزير فهو ينقل للإنســـان (٣١) مرض طفيلـــي من مجموع (٦٦) مرضاً يصاب بـــه، وثمانية أمراض فايروســـية مـــن أصـــل (٣٤) يصـــاب به، و (١٥) مرضـــاً جرثوميـــاً وثلاث أمراض فطرية وعشرة أمراض لها علاقة بالتغذية، إضافة الـــى تأثيـــره على الأثر الســـلوكي بســـبب انتقال صفات الحيوانات المأكولة الى آكليها.

إن أي تحســـين فـــي المجتمع يجب أن يبـــدأ أولاً مـــن الوجبة الغذائيـــة الصحيحة وذلك لتصحيح كيميائية الجسم من جديد وخاصة لتصحيح الجهاز العصبي والدماغ والتعاليـــم الأخلاقية قبل كل شـــيء، وقد وضـــع الحبيـــب المصطفـــى صلى الله عليه وآله وسلم قاعدة بســـيطة غاية في الأهمية من خلا ل حديثه الشـــريف والذي يعتبر قاعدة علمية ذهبية لعلماء التغذية ونص الحديث هو (نحن قوم لا نـــأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشـــبع).. لقد أرســـى معلم الإنســـانية بهذا الحديث قواعد علم التغذية وصحة البشر والحديث يطول في سبر أغوار مفرداته، وقد عضّد من ذلك قصار الأحاديث لســـيّد الوصيين أبا الحســـن علي بن ابـــي طالب عليه السلام حينما قال: (المعدة بيت الداء) و (رب أكلة منعت أكلات)، ولأهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين الكثيـــر من الأحاديث التي تســـاهم في دعم الصحة العامة من خلال اختبار طبيعة ونوعية الأكل المستخدم في

الاستهلاك البشري.

من أجل ذلك فالحياة الدنيوية يجب أن تكون مدعمة بأسلحة الصحة المتعددة حيث الوقاية خير من العلاج على أن يتم التسليح البيولوجي معتمداً على الأسس السليمة من الوقاية وعلى التغذية المتكاملة والعلاج الشافي باستخدام طب الأعشاب، فلا غرو ولا تعجب أن معظم الأشجار والشجيرات والأبصال والأعشاب التابعة للمملكة النباتية تتصف بالعلاج الطبيعي لأنها المصدر الرئيسي وا لمنبع الرباني للتداوي بل هي الغذاء والدواء وهما أصل الشفاء بإذن الله تعالى إذ يقول (وإذا مرضتُ فهو يشفين).. (سورة الشعراء:٨٠).

لقد وجد العلماء والأطباء بأن أفضل العلاجات وأنسبها ضد أمراض لمنطقة ما، يجب أن تعالج من النباتات الطبية والنامية محلياً تحت ظروف مناخها وبيئتها، فمثلاً في المناطق الأفريقية تنتشر أمراض متوطنة مثل مرض الملاريا الذي يعالج علاجا طبيعيا من قلف أشجار الكينا النامية بريا وطبيعيا تحت ظروفها البيئية والمناخية، وفي مصر استوطنت بعض الأمراض منها أمراض الكلى والمثانة والتي تعالج ببذور نبات الخلة البلدي) (نوع من نبات زند العروس) وعشب حلف البر وأمرض الروماتيزم والقيء التي تعالج ببذور نبات الخردل الأبيض والخردل الأسود النامية تحت ظروف جمهورية مصر العربية.

وبالرغم من الأجناس الغزيرة والأنواع الوفيرة والأصناف الكثيرة من النباتات الطبية والعطرية البرية طبيعياً والمزروعة منها اقتصادياً، إلا أن تنمية النباتات الطبية والعطرية والاستفادة منها لم يكن مشجعاً في إقامة صناعة الأدوية والعطور ومستحضرات التجميل في عموم الوطن العربي والعراق خاصةً.

الريحـــان..

الاسم العربي: الريحان، الحبق، الحوك، حماحم.

الاسم العلمي: Ocimum basilicum.

العائلة: الشفوية Labiata.

تضم هذه العائلة إضافة الى الريحان، الزعتر والنعناع والخزامى وورد السجاد (الكوليوس).

إن معظم نباتات هذه العائلة تحتوي على زيوت طيارة ذات رائحة عطرية إضافة إلى أن العديد منها يستعمل لتعطير المأكولات بنكهتها الخاصة وبعض أنواعها يدخل في التحضيرات الطبية والمعجنات.

الموطن الأصلي: حوض البحر الأبيض المتوسط، أوربا والهند الصينية.

الوصف النباتي: الريحان نبات عشبي عطري، ساقه ملساء مضلعة لونها أخضر فاتح، الأوراق بسيطة معنقة (ذات عنق أو سويق) متقابلة على الساق، والأوراق عند فركها بين الأصابع تخرج منها رائحة عطرية نفاذة، الأزهار دقيقة متجمعة في نورات مكتظة بيضاء اللون، تميل أحياناً إلى اللون الوردي وفي نهاية الموسم تعطي بذور سوداء اللون صغيرة مستديرة ويغطى النبات بزغب ناعم، والنبات عشبي حولي يتكاثر بالبذور بالطرق المعروفة.

الجزء المستعمل: كامل النبات عدا الجذور، الاوراق، القمم المزهرة.

الأوراق الغضة قبل فترة الازهار على ان تؤخذ الاوراق الحديثة التكوين وتترك

القديمة لأن الاوراق القديمة تفقد مفعولها ويتغير طعمها.

المكونات الفعالة: تستعمل أوراق النبات بأكمله طبياً، حيث تحتوي على زيت طيار يحوي المواد التالية:

- لينالول.
- السينول.
- اليوجينول.

الأمراض التي يعالجها الريحان

١ـ الشقيقة الرأسية:

يمكن علاج الآلام المنتشرة في نصف الوجه والرأس من خلال تناول أوراق الريحان الطازجة مع بذور الشبنت أو يمكن شم رائحة العشب أو يضمد بعصيره بعد فرمه وعصره على ان يوضع مكان الاصابة عدة مرات يوميا.

٢ـ تقوية الأسنان واللثة:

عشب نبات الريحان مع خلاصة جذور عود العكاس بنسب متساوية في الكحول بمقدار (٠،٥ غم) لكل منهما في كوب ماء من الكحول على ان يغلى فوق حمام مائي لمدة نصف ساعة حتى يتم التركيز الى اكثر من (٧٥ ٪) بعدها يصفى خلال شاش ثم يؤخذ ملعقة صغيرة من هذا المستخلص مذابا في نصف كوب ماء لعملية المضمضة صباحاً ومساءً.

٣ـ تبييض الأسنان:

يخلط ملح الطعام وسكر القصب والعسل الأبيض بمقادير متساوية مع قليلا من الزيت الطيار لعشب الريحان، على أن يتم تدليك الأسنان بأصابع اليد أو بالفرشاة يومياً ثم الغسيل بعد ذلك.

٤ـ التهابات وآلام الفم والأسنان واللثة:

المضمضة بمغلي عشب الريحان + عشب الزعتر + نورات النجمة الذهبية بمقادير متساوية على ان يؤخذ (١٠ غم) في كوب ماء يغلي لمدة دقائق ثم يصفى.

٥ـ تساقط شعر الرأس:

يخلط أحجام وزنية متساوية من كل

مــن عصير نبات الريحان + جيللي الصبار الألوي الطازج + زيــت الزيتون النقي مع إضافة لبان ذكر أو الجاوي بنسبة (١٠ ٪) من المخلوط على أن يتــم طبخها فوق حمام مائي لمدة (٣٠ ـ ٤٥) دقيقة في وجود زيت السمسم أو زيت الخروع على أن يكون ذو ثلاث أضعاف الوزن من مكونات الخليط الســابق، بشرط أن يتم التقليب من وقت لآخر ثم يصفى والمترشح يستخدم كدهان يومي في الماء ويتــرك حتى الصباح على أن يغسل بالماء والصابون الطبي..

٦ـ شعر الرأس المجعد:

ممكن اســتخدام هذه التركيبة في فرد الشعر المجعد أهمها..

زيــت السمســم + زيت جنيــن الذرة بنسبة (١: ١) مضافاً اليهما قليلاً من الزيت الطيار لنبات الريحــان مع التقليب الجيد حتــى التجانس ثم اســتخدام هذا الخليط اليومي بالتدليك لفروة الرأس.

٧ـ الإمساك:

يمكــن إزالــة الأمســاك باتبــاع هذه التركيبة..

تغلــى المســاحيق الناعمة مــن جذور الخطمية + بذور الريحــان + بذور الكتان + بذور القاطونا بمقادير متساوية بمقدار غــرام من كل منها في كوب ماء يغلى لمدة نصــف حتى يصبح لــزج القــوام على أن يصفى خلال شاش طبي والمترشح يؤخذ منه ملعقة فــي الصباح والمســاء ويحفظ فــي الثلاجة لحين اســتخدامه فــي الأيام التالية..

٨ـ الإسهال:

يمكــن وقــف الإســهال باتبــاع هــذه التركيبة..

أ ـ مغلي أوراق الميليســيا (البلســم) + بــذور الريحان بمقــدار ٢ غم من الأوراق

الطازجة للأولى وربع غرام للبذور في كوب ماء يغلى لمدة ربع ساعة والمصفى يتم تناوله يومياً.

ب ـ تناول مغلي عشب الريحان بمقدار نصف ملعقة في كوب ماء يغلى كالشاي..

٩ـ عسر الهضم للغذاء:

يمكن علاج سرعة هضم الغذاء والتخلص من حالات العسر الهضمي باستخدام ما يلي:

تناول المشروب الساخن من مسحوق ريزوم الزنجبيل مع عشب الريحان بنسب متساوية بمقدار ربع ملعقة في كوب ماء يغلي لعدة دقائق ثم يصفى ثلاث مرات يومياً.

١٠ـ التهابات القولون والغليظ:

يمكن إزالة الآلام والالتهابات بهذه الاعضاء المعوية باستخدام ما يلي:

تخلط المساحيق الناعمة من كل من بذور الكزبرة + الشبنت + الكمون + الكراوية + أوراق كل من الحبة الحلوة + الريحان + الكاسيا + نورات الشيح البابونج الالماني بمقادير متساوية على أن تؤخذ ملعقة صغيرة تغلى في كوب ماء لمدة خمسة دقائق ثم يصفى وتشرب صباحاً قبل الأكل.

١١ـ الدوسنتاريا:

تغلى بذور الريحان مع بذور الكتان بمقادير متساوية على ان تصفى بالضغط المترشح لظهور مادة لزجة القوام يمكن إضافة قليلاً من زيت الكافور والريحان بمعدل بضع نقط مع التجانس على أن يتناول ملعقة صغيرة يومياً قبل الأكل..

١٢ـ التضخم الكبدي:

تناول (٢ـ٣) نقطة من الزيت العطري للريحان يوميا قبل النوم..

١٣ـ الروماتزم وآلام المفاصل:

الزيت العطري لنبات الريحان يمكن خلطه مع الزيت العطري من أوراق الكافور بنسبة (١: ١) يمكن استخدام هذا المخلوط تدليكاً على المصاب يومياً.

١٤ـ عرق النساء:

تناول مغلى السذب مع نورات الشيح البابونج وأوراق الريحان بمعدل نصف غرام من كل منها في كوب ماء مغلى لمدة ربع ساعة بعد التصفية على أن يتكرر يومياً في الصباح والمساء.

١٥ـ مضادات التشنج:

تناول (٢ـ٣) نقطة من خليط الزيت العطري للريحان والميليسيا (البلسم) مع الشيح البابونج الألماني وعشب السذب بنسب متساوية..

١٦ـ الالتهابات والتسلخات الجلدية:

مغلي أوراق وبذور الريحان بنسبة (٥: ١) على التوالي يغلى فوق حمام مائي لمدة نصف ساعة والمترشح يستخدم كدهان صباحاً ومساءً.

١٧ـ تشقق الأيدي وكعوب الأرجل:

التدليك بمغلي أوراق الريحان وثمار السفرجل بنسبة (١:٢) على التوالي بمقدار ملعقة في كوب ماء يغلى لعدة دقائق ثم يصفى.

١٨ـ النقرس:

تناول مغلي جذور رجل البطة مع أوراق السذب البري وأوراق الريحان بنسب متساوية على أن يؤخذ غرام واحد لكل كوب ماء يغلي ويشرب كالشاي.

١٩ـ الدوخة والدوار:

تناول مغلي أوراق الريحان بمعدل غرام في كوب ماء يغلى ويصفى و يشرب كالشاي ■

أجوبة مسابقة العددين (٣١) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب. واقعة بني المصطلق

السـؤال الثـاني: ب. دعاء الصباح

السـؤال الثالـث: ب. المرقال

السـؤال الرابـع: ج. عبد الباقي العمري

السؤال الخامس: ج. مقبرة باب التبن

السؤال السادس: ب. اتخاذ الكوفة عاصمة

السـؤال السـابع: ب. ٣١ دعاء

السـؤال الثامـن: أ. ١٤ صفر ٣٨ هـ

السـؤال التاسـع: أ. السيد مهدي الصدر

الفائز بالجائزة الأولى: سلام مقداد علي/ بغداد ـ الكاظمية.

الفائز بالجائزة الثانية: أحمد مسلم محمد/ البصرة ـ التنومة.

الفائزة بالجائزة الثالثة: منى شاكر محمود/ الحلة ـ حي المهندسين.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٣٣)

١ «**وإنه الحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش ولا نزق**» كلمات قالها أبو العوجاء في الإمام الصادق عليه السلام محاوراً أحد أصحابه، فمن هو صاحبه؟

أ ـ المفضل بن عمر

ب ـ إسحاق بن عمار

ج ـ أبان بن تغلب

٢ يوم الغدير من أعظم الأعياد حيث نصب فيه الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين وقد شهد هذا الحدث عدد هائل من المسلمين، فكم من الصحابة بالأخص شهدوا هذا الحدث؟

أ ـ ١١٠ صحابي

ب ـ ٢٢٠ صحابي

ج ـ ٣٣٠ صحابي

٣ العواف، الدلال، البرقة، الميثب، الحسنى، الصافية، مال أم إبراهيم. حوائط كانت لفاطمة عليها السلام أوصت بهن للإمام علي عليه السلام ومن بعده للحسن والحسين عليهما السلام، فكم أشهدت على وصيتها؟

أ ـ شاهد واحد

ب ـ شاهدان

ج ـ ثلاثة شهود

٤

آل النبي ذريعتي
وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً
بيدي اليمين صحيفتي

من القائل؟

أ ـ البوصيري

ب ـ الشافعي

ج ـ السمهودي

كوبون مسابقة

ينابيع ٣٣

الاسم الثلاثي:

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ ذكر الإمام علي عليه السلام في خطبة له عدة خصال وهي أفضل ما يتوسل به المتوسلون، ومنها صدقة السر. فما الأثر الذي يترتب على هذه الخصلة؟

أ ـ تقي مصارع الهوان

ب ـ تدفع ميتة السوء

ج ـ تكفّر الخطيئة

٦ صلاة جعفر الطيار، من الأعمال المشهورة بالفضل وقد كانت عطية من النبي المصطفى صلى الله عليه وآله لابن عمه جعفر، وقد عرفت باسم آخر فما هو؟

أ ـ صلاة الكرامة

ب ـ صلاة الهدية

ج ـ صلاة الحبوة

٧ التشريق، تقديد اللحم وتجفيفه في الشمس، ويصح المعنى لنحر الأضحية بعد شروق الشمس، ومنه أيام التشريق للحاج بمنى، فكم هي أيام التشريق؟

أ ـ ثلاثة أيام

ب ـ أربعة أيام

ج ـ خمسة أيام

٨ بقيع الغرقد، مقبرة أهل المدينة وقد دفن فيها أربعة من الأئمة الأطهار عليهم السلام، فما معنى كلمة الغرقد؟

أ ـ قبر لشخص اسمه الغرقد

ب ـ شجر شوكي كالعوسج

ج ـ بئر ماء قديم

٩ زيد النار، لقب زيد بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لحقه عندما خرج ثائراً على العباسيين، فأين ومتى حدثت هذه الواقعة؟

أ ـ الأهواز ١٩٥ هـ

ب ـ البصرة ١٩٩ هـ

ج ـ واسط ٢٠٣ هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/صفر/١٤٣١هـ.**